

45

كتابي

إميلى بروتتى

مرتفعات ويذرنج

الجزء الثانى

تأليف: شمسوز الأزيكية

المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
الرياض - جدة - القاهرة - بيروت - دمشق

ماهى زاد



مرتفعات ويذرنج

النص الكامل لقصة أميلي برونتي

الجزء الثاني

السيرام: شامسور التركية

وصل ما انقطع ..

في نهاية الجزء الأول من هذه الترجمة الكاملة لقصة (مرتفعات ويدرنج) ، تركنا « كاثرين ايرنشو » - زوجة « ادجار لينتون » - راقدة في فراش المرض ، تنمى لخايتها « نللى » بذات نفسها ، بعد ان اعتصمت بمخدعها وأضربت عن تناول الطعام ثلاثة أيام ، على اثر المشادة العنيفة التى نشبت بينها وبين زوجها بسبب .. هيثكليف ! .. وكانت مقدمات هذه الأزمة بين الزوجين قد بدأت حين اكتشفت كاثرين ان شقيقة زوجها - ايزابيلا - قد وقعت في هوى هيثكليف ، فلما حاولت ان تنفرها منه بإظهار عيوبه ومساوئه لها بصراحة ، اهانتها العذراء الغريبة واتهمتها بالفحشاء والاثانية .. مما كان من كاثرين إلا أن التقت لكرامتها بان افشت لهيثكليف السر الذى كان يجهله ، سر تدله ايزابيلا في هواه ! .. وانتهر الوضع الفرصة غدير الخطة لاستغلال هذا الهوى الصبائى وقنبيته ، بغية مصاهرة غريمه الارستقراطى « ادجار لينتون » وإذلاله ! .. وذات يوم غاجباً ايزابيلا في الحديقة فقبلها .. ولحنته « نللى » فابلغت كاثرين بالامر ! .. غارت كاثرين في وجهه وأمعنت في تانيبه . وانتهر ادجار الفرصة - دون ان يقف على سبب المشادة - بأمر هيثكليف بالخروج وعدم العودة إلى الدار مرة اخرى ! .. وعلى اثر انصرافه غارت كاثرين على زوجها واتهمته بالانصاف إلى حديثها مع هيثكليف من وراء

الباب ، ثم تظاهرت بالإصابة بنوبة صرع ! .. لكن « نللى » فضحت « تمثيلها » ، فانتقلت غاضبة إلى مخدعها حيث اعتصمت به وأضربت عن تناول الطعام ثلاثة أيام .. لكنها في اليوم الثالث اضطرت إلى أن تطلب بعض الطعام . وحين علمت ان زوجها يقضى وقته في غرفة المكتبة ، غير مهبال بقطيعتها ، صدمها إهماله إياها ، واصابها بشبه نوبة من الهذيان وهواجس الخوف من الموت والأشباح .. ثم راحت تذكر « نللى » ببدء أحداث الأسبوع المشؤم حين اعتصمت بمخدعها وكيف داهمها قبيل الفجر كابوس مروع خشيت منه على « فلها » .. كابوس رأت نفسها فيه وقد عادت سنوات إلى الوراء ، إلى يوم مات أبوها وهى بعد صبية في الثانية عشرة ، فلما أخوها « هندلى » ستارا بينها وبين لقاء رفيق صباها هيثكليف - الذى كان بالنسبة لها كل حياتها وكيانها ! - الأمر الذى قاسمت منه الشعور بالبؤس والعذاب .. وصور لها الكابوس كأنها تقام في فراشها القديم بمنزل « مرتفعات ويدرنج » ، الفراش الشبيه بخزانة ذات فتحات مريمة ، من خشب البلوط - وهو الفراش الذى نام فيه مستر لوكونود ، مستأجر الدار ، في بداية القصة - فلما افانقت من الكابوس وجدت نفسها في مخدعها بقصر « ثرشكروس جيرانج » حيث أغفت وهى جالسة على الأرض مستندة إلى رجل المائدة !

والآن تستطيع أن تتابع القراءة من حيث تركنا « كاثرين » تحدث « نللى » عن ذلك الكابوس !

« .. رأيتني قد عدت صبية ، وكان أبي قد ووري القراب
 للتو ، وبدا عذابي ويؤسى من ذلك الفراق الذي فرضه هتلى
 ببني وبين هينكليف .. كنت قد تركت وحسدي ، للمرة الأولى
 في حياتي ، فلما افقت من نعاس مزيج بعد ليلة حافلة بالبكاء
 والنسيج ، رفعت يدي لأزيح بها باب الخزانة المفلق ..
 فإذا بها تصطدم بسطح المائدة ! .. وافقت من رؤياي فجأة
 لأجدني متكئة على بساط أرض مخدومي .. وإذا بالأمي
 الماضية تضيق في لجة بعيدة الفور من اليأس - وليس في
 وسعي أن أفسرك لماذا شعرت بالشقاء والتعاسة يحيطان
 بي من كل جانب ، فلا بد أن ذلك كان شعورا وقتها ، لأنني
 لا أكاد أجد له سببا أو مبررا .. ولكن خيل إلي كأن يظنني قد
 انتزعتني ، وأنا بعد في الثانية عشرة ، من (المرقعات) ، ومن
 كل حياتي ورفعتي المبكرة ، ومن كياتي كله ، كما كان لي هينكليف
 في ذلك الوقت .. وصيرتني فجأة ، وبعنف ، إلى مسر لبتون ،
 سيدة « ثرشكروس جرانج » ، وزوجة رجل غريب .. أنه
 النفي والتشريد من كل ما كان دنياي ومالي .. ألا لبتك
 تتصورين لحظة من الهواية التي تردت فيها - وبوسعك أن
 تهزى رأسك كما تشائين يا تلي ، ولكنك حقا قد ساعدت على
 عدم استقرارى ! .. كان ينبغي أن تتحدثي إلى أديار . كان
 هذا واجبك حقا .. وإن ترغفيه على أن يدعني في سلام وهدوء
 .. آه ! .. أنني اشتعل بالنيران ! .. ليتني أكون في الخلاء
 الآن . ليتني أعود فتاة صغيرة من جديد ، جريئة ، نصف
 متوحشة ، حرة مطلقة السراح ، أسخر مما يوجه لي من

إهانات ، ولا أجنى منها غضبا كشأنى الآن ! .. لماذا تغيرت
 كل هذا القير ؟ .. لماذا تندفع الدماء في عروقي فائرة ثائرة
 لجرد سماع كلمات قلائل ؟ .. أنني واثقة من أنني سوف أعود
 لحالتى الأصلية إذا وجدت نفسى بين الأجراس فوق هذه
 التلال . افتحى النافذة ثانية يا تلي ، ودعني مفتوحة على
 مصراعها . أسرع .. لماذا لا تتحركين ؟

قلت : « لأننى لا أريد أن تصابى ببرد يقتلك .. »

— بل تعنين أنك لا تريدين أن تهينى لى فرصة للحياة ! ..
 ومع ذلك لمانى لم أصبح عاجزة عن الحراك بعد .. سوف
 افتحها بنفسى ..

وهبطت من الفراش بسرعة — قبل أن استطاع بمنها —
 فاجتازت الحجرة وهى تترنح في مشيتها ، ففتحت النافذة
 وأطلت منها وقد أحتت جسمها إلى الأمام غير مبالية بالهواء
 المثلج الذى كان يمزق كنفها العاريين كسكين حسادة ..
 ورحت التوسل إليها ، ثم حاولت أن أستخدم القوة في إرغامها
 على الرجوع عن النافذة ، ولكنى سرعان ما تبينت أن الحمى
 قد زادت قوة ، حتى جاوزت كل ما لدى من قوة ! (وقد كانت
 في الواقع تحت تأثير الحمى ، إذ اقتنعت بذلك من أفعالها
 اللاحقة وهذياتها القريب) .. وكان القمر غائبا عن صفحة
 السماء ، وكل شيء تحتنا يسبح في لجة من الظلمة الحالكة .
 ولم يكن ثمة أى ضوء ينبعث من أى منزل قريب أو مسجد ، فقد
 أطفئت أضواء المنازل كلها منذ زمن طويل .

(مرتفعات ويدرنج) فلم يكن يبين منها شيء البتة ، وبرغم ذلك لمانها كانت تؤكد أنها ترى بريقها ، إذ صاحت في لهفة :

— انظري ! .. هذه حجرتي والشجرة مضاءة فيها ، والأشجار تتأرجح إياها ! .. أيا الشجرة الأخرى فهي في حجرة جوزيف العلوية . أن جوزيف ما زال ساعرا ، أليس كذلك ؟ .. إنه ينتظر حتى أعود إلى المنزل ليوصلد البوابة . حسنا ، سوف ينتظر طويلا ! .. فهي رحلة شاقة ، والقلب الكبير لا يستطيع قطعها في يسر ! .. ولا بد لنا من المرور بكنيسة (جيمرتون) لكي نقوم بهذه الرحلة .. لقد طالما تحدثنا اثباحها معا ، وراهن كل منا الآخر على الوقوف بين القبور ، ودعوة الأشباح للظهور ! .. ولكن هبني راحتك الآن يا هيثكليف ، فإني تجرؤ على الوقوف هناك ؟ .. لو أنك فعلت فسوف استبقيك معي ، لما كنت لأرتد هناك وحدي . فليدفنوني على عمق اثني عشر قدما ، وليهيلوا أحجار الكنيسة كلها فوق قبري ، فلن أستريح حتى ألك معي .. لن يقر لي قرار قط حتى أعمل !

وتبلمت قليلا ، ثم استطردت وعلى محياها ابتسامة غريبة : — إنه يفكر في الأمر ، ويفضل لو ذهبت إليه ، بدلا من أن يأتي إلي .. أبحث عن طريقة لذلك إذن ! .. ولكن بعيدا عن فناء الكنيسة ! .. يا لك من بطيء متخاذل ! ولكن هديء روعك ، لقد كنت دائما تتبعني !

وإذ تبينت عبث بجادلتها ومعارضة أقوالها الجنونية ، لقد رحت أفكر في وسيلة أستطيع الوصول بها إلى شيء أغطيها به أو ألقه حولها ، دون أن تتخلى قبضتي عن الإمساك بها (لما كنت لأين لها وادعيا وخدها بجوار النافذة الماغرة ناهيا) .. وفي تلك اللحظة أجفلت إذ سمعت صرير أكسرة الباب وهي تدور ، ثم إذا بيمستر لينتون يدخل الحجرة .. فقد كان في المكتبة فلم يبارحها إلا في تلك الساعة ، وبينما كان يجتاز الردهة سمع حديثنا فثار فضوله ، أو خسوفه ، وأراد أن يعرف ما يحدث في تلك السامية المأخرة .. فلما كادت الملح صيحة الدهشة التي تهيمت على شففتيه ، إذ شهد المنظر الذي طالعه ، وجو الحجرة القارس ، حتى هتفت قائلة ، لأحول دون انطلاقك تلك الصيحة :

— أواه يا سيدى ! .. أن سيدتى المسكينة مريضة ، وقد تغلبت على ، فلم أعد أستطيع تهدئتها البتة .. أرجو أن تأتي وتقتنعها بالذهاب إلى الفراش . أتسى غضبك يا سيدى ، لأنها من الصلابة بحيث لا يمكن تحويلها عما صممت عليه !

فصاح وهو يسرع إلينا : « كاثارين مريضة ؟ .. أغلظي النافذة يا أيلين .. كاثارين .. لماذا ؟ »

وكف عن الكلام بفتة ، إذ كان منظر منسز لينتون المشعث ، وشحوبها الشديد ، قد أجم لسانه وشله عن النطق ، ولم يعد قادرا إلا على ثقل نظراته بينما يدهي في دهشة وارتعاج .. فتأبعت الحديث قائلة :

— لقد لبثت هنا كل هذه المدة ، تجتر أحزاني ، لا تذوق طعاما ، ولا تنفس من صدرها مخلوق ، فلم تسمح لأحدنا بالدخول عليها إلا الليلة ، ولذلك لم يكن في وسعنا أن نخبرك عن حالتها — إذ كنا أنفسنا نجهلها — ولكن أرجو أن يكون الأمر بسيطا ..

وقد شعرت بأننى كنت أنطق بهذه المبارات في ارتبك وتلعثم ، فنظر السيد إلى عابسا ، ثم قال في صرامة : « أتربن الأمر بسيطا ، يا إيلين دين ؟ .. سوف يكون عليك أن تفسرى مسلكك إذ كتبت ذلك عفى ، فيما بعد .. »

ثم أخذ زوجته بين ذراعيه ، وراح ينظر إليها في ألم وأسى .. فلم يبد في نظراتها ، في يادى الأمر ، ما يتم على أنها قد مرغته ! .. كانت نظراتها الشاردة لا تراه ولا تتبينه . ومع ذلك كانت النوبة الشائرة قد بدأت في الهدوء ، فما أن تحولت عينها من الظلمة الخارجية الحالكة ، وبدأت تركز انتباهها فيه رويدا رويدا ، حتى مرغت من الذى كان يحوطها بذراعيه ، فالتفت في انتفاضة غاضبة :

— آه ! .. هل أتيت يا ايجار لينتون ؟ .. انك اهد تلك الأشياء التى يجدها المرء دائما كلما كان في غير حاجة إليها ، وعندما يحتاج إليها لا يجدها قط ! .. واحسب أننا سوف يكون لدينا الكثير من الأحزان الآن — بل أنا واثقة من ذلك — ولكنها لا يمكن أن تحول بينى وبين مسكنى الضيق هناك ! .. مسكنى ومستقرى وموئل راحتى ، حيث قدح على أن

أرقد لىه قبل انقضاء الربيع . ولكنه لن يكون بين قبور آل لينتون ، تحت سقف الكنيسة ، وإنما في الهواء الطلق ، فوق الروابي ، لا يعلوه سوى قائم من الحجر ! .. اما أنت فلك أن تذهب حيث يسرك الذهاب ، فاما أن تضى إليهم أو تاتى إلى !

فغص السيد بريقه وهو يقول : « ماذا فعلت بنفسك يا كاثرين ؟ .. ألم أعد شيئا بالنسبة إليك ؟ وهل تحبين ذلك المنكود هيث .. ؟ »

فصاحت مسز لينتون : « صه ! .. اسكت . لو ذكرت هذا الاسم سوف أنهى المشكلة في الحال ، بوثبة من النافذة ! .. ان ما ظلمه الآن قد يكون لك ، ولكن روحى سوف تكون فوق قمة ذلك التل قبل ان تضع يدك على نائبة .. اننى لا أريدك يا ايجار .. بل لم يعد في وسعى ان أريدك ! .. أرجع إلى كتبك ، فكم يسرنى أن لديك ما يسليك ويسرى عنك . أما أنا ، فكل ما كان لك منى ، قد ذهب وولى ! »

فتدخلت قائلة : « ان عقلي يهيم في آفاق مجهولة يا سيدى ، لقد قضت الليلة بأسرها تهذى بكلام لا معنى له .. ولكن دعها تلت نصيبا واغرا من الراحة ، وقسطا كافيا من العنابة ، وسوف تستعيد تواها ومرحها .. يجب أن نحذر ، من الآن فصاعدا ، من إغصابها .. »

فاجاب مستر لينتون : « لمست إلهد منك المرید من النصائح . انك تعرفين طبيعة سيدك ، ومع ذلك شجعتنى

على مضايقتها !.. ثم لم تلحى لى مرة واحدة عن حالتها طيلة هذه الأيام الثلاثة !.. الا ما اقصى قلبك ! إن شهورا من المرض ما كانت لتحدث بها مثل هذا التغيير !»

نبذت اذراع من نفسى ، شساعة بأن من الظلم ان الام بسبب المشاكسات الخبيثة التى ياتيها شخص آخر غري !.. فصحت قائلة : « لقد كنت اعرف ما فى طبيعة مسز لينتون من صلابة الراى وحب السيطرة والتسلط ، ولكنى لم اكن اعرف رغبتك فى تقضية طباعها الحادة الضارية والاسترداد منها !.. لم اكن اعرف اننى فى سبيل مرضائها وتذليلها يجب ان اتغاضى عما يفعله مستر هيكليف !.. لقد اديت واجبى كخادم امينة عندما اخبرتك ، وهانذا انتاضى الاجر اللائق بخادم امينة !.. حسنا ، إن ذلك يعلمنى ان اكون اشد حذرا ، عليك فى المرة القادمة ان تجمع معلوماتك بنفسك !! »

— فى المرة القادمة التى تاتين لى فيها بقصة جديدة ، سوف تتركين خدمتى يا ايلين دين !

— احسبك لا تريد ان تسمع شيئا عن هذا الامر بعد الان يا مستر لينتون ؟ .. إذن فقد نال هيكليف اذنك لمغازلة الانسة ، وانتهاز كل فرصة يتيحها له غيابك لياتى ويسمم افكار السيدة ضلك ؟

وعلى الرغم من حالة الذهول التى كانت فيها كاثارين ، فإن ذهنها كان مرهقا وعلى وعى بحدثنا ، إذ هتفت فى حرارة : « آه » لقد لعبت ايلين دور الجاسوس الخائن !.. ان ايلين

هى عدوى الخفى فى هذا المنزل .. انت ايتها الساحرة الشبطاء ، إذن فقد كنت تجهين السهام لترميننا نحن بها ؟ دعنى .. دعنى ، سوف اجعلها تنحسر على ما فعلته .. سوف اجعلها تلقى جزاء جحودها ! »

وكانت عينها تومضان ، وتتوهجان فى ثورة جنونية ، وراحت تناضل فى سبيل الخلاص من بين ذراعى لينتون .. فلم احس ميلا إلى البقاء حتى تنقذ وعيها ، وهزمت على أن اتشد بمعونة الطبيب ، من تلقاء نفسى وتحت مسئوليتى ، فاسرعت بمغادرة الحجرة ، ثم المنزل كله .. وفيها كنت اجتاح الحديقة إلى الطريق ، فى موضع كان سور الحديقة عنده يصل خطانا مما تعلق فيه أئنة الجياد ، لمحت جسما أبيض اللون يتحرك حركة غير منتظمة ، لا شان للرياح فى احداثها .. وعلى الرغم من اننى كنت فى عجلة ، الا اننى تلبثت ريثما افحص ذلك الشيء ، حتى لا تخابرنى الهواجس فيها بعد لتثير فى خيالى الاقتناع بأن ما رايته كان عفريثا من الجان ! .. وكما كانت دهشتنى وحيرتى عندما اكتشفت ، بطريق اللبس أكثر من الرؤية ، انه كان كلب مس ايزابيلا الصغير « غاتى » ، معلقا فى الخطاف من رقبتة بمشديل ، وفى الرق الاخير من حياته !.. واسرعت بتخليص الحيوان المسكين ، وانزلته إلى الحديقة ، وكنت قد رايته يتبع سيدته إلى حجرتها بالطابق العلوى عندما أوت إلى فراشها ، فاضدنى العجب مما أتى به إلى الحديقة ، ومن ذلك الشرير الذى كان أن يقتله .. وبينما كنت أحل عقدة الشك من حول الخطاف

بلغ مسامعي وقع حوافر جواد ينطلق بسرعة كبيرة عن بعدة .. ولكن كان لدى من الشواغل التي تملأ تفكيري . ما جعلني لا أغير صوت الجواد اهتمامي ، ولو أنه كان صوتا غريباً في هذا المكان في الساعة الثانية من الصباح !

ومن حسن الحظ أن مستر كينيث كان يغادر منزله لزيارة مريض في الريف ، عندها بلغت الشارع الذي يقيم فيه ، فما أن سمع روايتي عن مرض كاثارين ليتون حتى عدل عن طريقه وعاد معي في الحال . وكان رجلاً بسيطاً صريحاً لا يعرف المداورة ، فلم يخف شكاً في نجاتها من هذه المصيبة الثانية ، ما لم تكن أكثر خضوعاً لتعليماته وأوامره مما بدا منها في المرة الأولى ، ثم استطرد يقول :

— اسمعي يا ظلي دين .. أننى لا أستطيع أن أضع نفسي من الاعتقاد بأن هناك سبباً خارجياً لما أصابها ، فما هذه الأحداث التي تمر « بالجرائح » هذه الأيام ؟ .. لقد بلغتنا أنباء عجيبة هنا ، وفئة قوية البنية مثل كاثارين لا يمكن أن تقع صريعة المرض بسبب شيء تافه ، كما أن هذا الطراز من الناس لا يمرضون بسهولة ، ومن العسير أن تصيبهم الحمى أو غيرها .. فكيف كانت البداية ؟

— سوف يخبرك السيد .. ولكنك تعرف آل إيرنشو تماماً وتعرف حدة طباعهم ، التي بلغت مسز ليتون فيها أعلى مرتبة وبزتهم جميعاً . وكل ما يمكننى قوله أن الأمر بدأ بشجار حاد ، وقد أصيبت بنوبة شديدة بينما كانت تمر بعاصفة من الغضب والانفعال الشديد ، أو هذه قصتها على

الأجل ، لأنها غرت من الميدان عند اجتدام العاصفة وجبست نفسها في حجرتها ، ثم رفضت أن تتناول شيئاً من الطعام ، وغدت الآن تتناولها ساعات من الهذيان تارة ، ومن الاستفراق فيما يشبه الحلم تارة أخرى . وهى تعرف المحطين بها ، ولكن عقلها يتقلد بقدر عظيم من الأفكار والأوهام .

فقال كينيث متسائلاً :

— احسب ان مستر ليتون سوف يأسف كثيراً ؟

— يأسف ؟ .. إن قلبه سوف يتحطم لو أصابها سوء ! .. وأرجو ألا تثير في نفسه القلق بأكثر من القدر الضروري !

فقال رفيقني : « حسناً ، لقد حذرتك .. وعليه ان يترقب مواقف إيماله لتحذيري . ألم تعتقد أواخر الود والألفة بينه وبين مستر هينكليف أخيراً ؟ »

— إن مستر هينكليف يكثر من التردد على (الجرائح) ، وإن كان ذلك يرجع إلى معرفة السيدة له منذ أن كان غلاماً صغيراً ، أكثر من حب السيد لصحبته .. ولكنه في الوقت الحاضر قد أعفى من مشقة الزيارة ، يعد أن بدر منه ما يتم على طموح مزعوم إلى يد مس ليتون .. ولست اعتقد أن أحداً سوف يسمح له بزيارة البيت بعد ذلك ثانية ..

والقى الطبيب بسؤاله الثاني ، فقال :

— وهل قابلته مس ليتون بالاستخفاف وعدم الاكتراث ؟ فأجبتني في إحياء من متابعة الحديث في هذا الموضوع :

— إنها لا تطلعنى على أسرارها ..

— كلا ، غيى غتاة مأكرة لا تطلع أحدا على سرها ، ولكنهما بلهاء حقاً .. فقد سمعت من مصدر يوثق بكلامه أنها كانت في الليلة الماضية — ويا لها من ليلة ! — تمشى مع هيكليف في الحقول الممتدة خلف منزلكم أكثر من ساعتين .. وكان يستحثها ويلج عليها الا تعود إلى المنزل ثانية ، بل ترافقه على ظهر جواده وتفر معه ! .. وقد أخبرنى محدثى أنها لم تستطع استمهاله إلا بعد ان عاهدته بكلمة الشرف ، على ان تستعد لذلك في أول لقاء لها بعد ذلك . أما متى يكون ذلك ، فإن محدثى لم يسمحها يحددان موعداً .. ولكن عليك ان تنذرى مستر لينتون حتى يفتح عينيه جيداً !

وملائتى هذه الأنباء بخاوف جديدة ، تسببت كيثيث ، واسرعت أمدو عائدة إلى الدار . وكان الكلب الصغير ما زال ينبع في الحديقة ، فتخلفت لحظة ريثما افتح له البوابة ، ولكنه بدلا من الاتجاه نحو باب المنزل انطلق يمسو هذا وهناك وينشم المشب ، وكان على وشك ان يهرب إلى الطريق لو لم أمسك به واحمله معى إلى الداخل .. وقد تحققت شكوكى عندما صعدت إلى حجرة ايزابيلا ، إذ وجدتها خالية ! .. ولو اننى ذهبت إليها منذ ساعات قليلة ، وربما كان مرض مسرر لينتون قد منعها من الإقدام على هذه الخطوة الطائشة ، ولكن ما الذى يمكن عمله الآن ؟ .. كان هناك احتمال طفيف فى إدراكهما إذا اقتضى أثرهما فى الحال ، ولكنى لم أكن أستطيع تتبعهما بنفسى ، أو أجرو على إيقاظ العائلة جميعا ، وإشاعة الفوضى والاضطراب فى المنزل كله .. وكذلك لم يكن

فى وسمى أن أبوح بالأمر للسيد الذى كانت تكبته الحالية تشغل كل أفكاره ، ولم يبق فى قلبه متسع لحزن جديد .. ثم أجد خيرا من أن أمسك لسائى وأدع الأمور تجري فى مجراها . وإذا كان كيثيث قد وصل ، رافقته إلى حجرة السيدة — وقد انقلبت مسحتى — لأعلن مقدمه . وكانت كاثرين وقتئذ تنام نوما مضطربا ، إذ كان زوجها قد الملح فى تيدلتها ، وتخفيف ثائرة نوبتها ، ووقف عند طرف الوسادة يرتب كل تبدل يطرا على أساريرها التى تعبر عن ألم شديد ..

وبعد أن فحص الطبيب الحالة بنفسه ، أعرب عن أمسه فى الوصول إلى نتيجة طيبة إذا استطعنا ان نحيلها دوماً بجو من الهدوء والسكينة . وقد أغضى إلى بأن الخطر الداهم لم يكن فى موتها ، بقدر ما كان فى إصابتها بخلل دائم فى قواها العقلية !

ولم يغمض لى جفن فى تلك الليلة ، وكذلك مسرر لينتون .. بل لم نذهب إلى فرشنا أو نحاول النوم قط . حتى الخدم استيقظوا قبل موعدهم المألوف بكثير ، وراحوا يتحركون فى المنزل بخطى خفيفة مسترقة ، ويتبادلون الكلام همسا كلما مر بعضهم ببعض خلال قيامهم بهمامهم . كان كل من فى الدار مستيقظا يقوم بعمله ، إلا مس ايزابيلا ، فراحوا يتهايمسون عن نومها العميق ويعجبون منه ! .. بل لقد سأل أخوها عما إذا كانت قد استيقظت من النوم ، وبدا يظنها على وجودها ، وقد ساءه أنها لم تبد شيئا من القلق على زوجة أخيها .. وكنت أرعد خلسة أن بيعت بى لاستدعائها ، ولكن حدث ما كسحتى

مشقة أن أكون أول من يعلن خبر غرارها : فإن إحدى الخادمت
— وهى فتاة طائشة كانت قد ذهبت إلى (جيمرتون) فى الصباح
الباكر لتحضر شيئا من البلدة — أسرعترتقى الدرج ، مبهورة
الأنفاس ، فاغرة الفم ، واندفعت إلى داخل الحجرة ، سائحة :

— آه ..! رحماك يا رب ..! ماذا سيحل بنا بعد ذلك ؟ ..
سيدي .. سيدي .. إن سيدتنا الصغيرة ..

فبادرتها زاجرة ، وقد اشتد بى الغضب من صجيجها :
— صه ..! كفى من هذه الجلبة !

وقال مستر لينتون : « أخفضى صوتك يا ماري .. ماذا
هنالك ؟ .. وما الذى ألم بسيدتك الصغيرة ؟ »

— لقد ذهبت ..! ذهبت ..! وصديقك هينكليف هو الذى
مر بها !

فصاح ادجار ذاهلا ، وهو ينهض من مقعده فى انزعاج
شديد :

— هذا ليس صحيحا ..! بل لا يمكن أن يحدث قط ..!
ما الذى انبت هذه الفكرة فى رأسك ؟ .. وأنت يا أبلين دين ،
اذهبي وابحثي عنها . هذا أمر لا يمكن تصديقه .. بل لا
يمكن أن يحدث !

وكان وهو يقول ذلك ، قد سار بالخادم العجول نحو
الباب ، وعاد يسألها أن تبين له الأسباب التى تجعلها تؤكد
هذا الفرار .. فغمضت تقول متلعمة : « لماذا ؟ .. لقد

التقيت فى الطريق بالقلام الذى يحضر لنا اللبن ، فسألنى عما
إذا كانت المتاعب قد ثارت فى (الجرانج) ، وحسينه يقصد
مرض السيدة ، فأجبته بالإيجاب ، وعندئذ قال : « أظنكم
أرسلتم من يقتل أثرهما ؟ » ، فحلقت فيه فى دهشة أدرك
مفها أننى لا أعرف شيئا عن الحقيقة ، وفكر لى كيف أن
سيدا وسيدة توقفا عند حائوت الحداد ، على بعد ميلين من
(جيمرتون) ، ليصلحا حدوة جوادهما ، بعد منتصف الليل
بقليل .. وكيف نهضت ابنة الحداد لتستطلع أمرهما خفية ،
تعرغتيا على الفور .. ولاحظت أن الرجل — وكان هينكليف
بلا ريب ، فإن أحدا لا يقطع معرفته — قد دس فى يد أبيها
جنيا ذهبيا اجرا له على عمله . وكانت السيدة تلف ياقة
المعطف حول وجهها ، ولكنها طلبت جرعة من الماء ، وبينما
كانت ترشفها ، سقطت ياقة المعطف فرأت الفتاة وجهها جليا
وعرفتيا . وكان هينكليف يمسك عنان الجواد بكلتا يديه
وقد انطلقا به فى سرعة عظيمة ، بالقدر الذى تسمح به وغورة
الطريق ، وهما يتنكبان القرية فى سيرهما . ولم تقل الفتاة
شيئا لأبيها ، ولكنها نشرت الخبر فى (جيمرتون) كلها هذا
الصباح !

وأسرعت انقضى الأمر فى حجرة ايزابيلا ، من التاحية
الشكلية ، ثم عدت لأؤيد رواية الخادم . وكان مستر لينتون
قد رجع إلى مقعده بجوار الفراش ، غلاما أحسن بمودتى ،
رفع نظريه نحوى ، ثم خفضها ثانية ، بعد أن قرأ فى وجهي

معنى ما علاه من وجوم ، وأخذ إلى الصبيحت . علم يصدر
أمرا أو ينهى بكلمة واحدة . . فسألته قائلا :

— ألا نحاول اتحاذ أية تدابير للحاق بها وإعادتها إلى
المنزل ؟ . وكيف ترى أن تفعل ذلك ؟

فاجابني السيد : « لقد ذهبت بملء رغبتي وأرادتها ، ومن
حقها أن تعمل ذلك ما دام سرها . . علا تنسى من يمر
بعد ذلك قتل ، لأنها من الآن تعد شقيقتي اسمها محسب . .
لا لائى أبير منها ، بل لأنها هي التى سكرت 'و' ومز -
منى . . »

وكان ذلك كل ما قلته فى هذا الموضوع . علم ، بعد سبيل
واحد للبحث عنها والتخفى عما سم من مرها ؛ ولم يذكر
على لسانه فى أى وقت . إلا عندما مرى من راس ليل فى
منزلها الجديد ، أينما كان مقره - عندما شعنى حذر - .
ما لها فى الدار من مقام . .

الفصل الثالث عشر

طل النهارمان غابىس رهاء شهرين دون أن يسمع عيها
شيئا . وفى حلال هذين الشهرين كانت ممر لبيوس مرسه
لأسوأ صدمه - ما يسمى بالحصى الخبيث - حتى قهرنها
ومعلب عليها . وما من أم وروم كان ممكن أن يرى مصيب
الوحيد وتفرجه بسمان وإحلاص أكثر مما كان 'دحار مرعدها
ومرعبها . . كان سبب عليها اللل والنيار . وحصى
صبر لا يصعب معنه جميع المصايفات والمصاعب التى ممكن
أن تفسد عن أعصاب مرسه انهيج وعقل مريج . . وكانت
مرحه وشكرانه . عندما أعلن لطبيب روال الخطر عيها ،
لا يعرفان حدود' لاصلاقتها . مرم ما لا حطه كسيت من أن
التى 'تقدها 'دجار من القتر سوب بحرى رسانه وعسايله
من يكون مصدر قلق دائم له فى المستقبل . . والواقع انه
كان يصحى بصره ومونه فى سبيل 'الحامطة على حطام
شرى . لا أكثر ولا أقل . كل يقضى لساعه تر الساعه
جالسا إلى جانبها يرقب صحتها البدسة وهى مرتد إليها
تدرجيا . ويعمل النفس بالامانى الحياشه - الحمايه - فى
أن عقلها سوب يعود إلى مواربه 'صحيح ايضا . وأنها لن
تلت حتى ترجع إلى حالتها الصبيحه التى كانت عليها من
قبل . .

وكانت أول مرة غادرت فيها حجرتها ، بعد ذلك المرحس
الطويل ، فى بداية شهر مارس القس . وكان مسافر المنون

قد وضع فوق وسادتيه ، قبل أن تستعطي في الصباح ، حبيبته
من رهور الأثحوان الذهبية . ملها أمانت من يومها لحبيب
عينها - اللتان ظلما طويلا لا تعرفان طريق الزهور - ساعد
في فرح وابتهاج ، وراحت تضم الزهور معا ، هاته

- هذه بواكير الزهور في (المرتفات) .. وهي تذكرني
بالنسبة العذبة ، والشمس الساطعة الدافئة ، والنور
الدائم .. قل لي يا ادجار ، ألا تبه مسام الحبوب ؟
.. وهل اختفت الطلوج أم كانت ؟

- لقد اختفت الثلوج تماما من هنا يا سريري - وليس لي
على طول لبال البراري إلا بقع من مصاوي .. كما أن السحب
ورقاء صامدة ، والقنار يصدح بمنعماتها الثخينة ، والحدود
والنهرات ملأى بالماء حتى حامت ، .. لقد كنت في مثل هذه
الوقت من ربيع العام الماضي ، يا كاترين ، أتوى إلى وحدك
تحت سقف هذا البيت ، ولكني الآن أود أن أكون تحت سوة
هذه القلال ، فإن الهواء يهب عليك حملا عذبا .. حتى لأحس
بأنه خليق بأن يشفيك تماما ..

مقالت المريضة : « لن أذهب إلى هناك مرة واحدة
أخرى .. وفي تلك المرة سوف تتركني هناك ، وسوف أتى
بها أبدا . وفي الربيع القادم سوف يموت ثانية لأن بحدني تحت
سقف هذا البيت ، وسوف تنظر إلى الوراء وترى أنك كنت
سعيدا اليوم ! »



سائليا في فرج وابتهاج ، وراحت تضم الزهور معا ، هاته
- هذه بواكير الزهور في (المرتفات) ..

وأخسب أنك لو رأيته لأن له عرصة - عقد نعم كد - بها كان عليه عندما كان معهوداً له إليك . وكان يفت إلى حور الموند غلام يرى لهسة ، قوى السيه ، قدر الشاب - تشبهه كاترين في عينيها ومهما ، عقلت في نفسي : أنه من - روحه أدهر . ومن ثم فهو أن أخيه حكما . وبالمال عنه يسأل من سأل وهو أو آخر ، ويسمى لي أن أصاحه ، من ينفي لي - نعم - أن أقبله ! . . فمن الصواب أن أنشيء معه تعاها طيبا منذ البداية . .

« اقتربت منه وحاولت أن أتناول يده المكتنزة قلته :

— كيف حالك يا عزيزي ؟

« عجب في سمعه لم أعبه مبه شيئا . وبعيد كيف محوس الثانية للحديث معه :

— هل ستكون أصدقاء يا هيرتون ؟

« مكان حزائي على هذا الاستمرار في الحديث معه - أن حس من مبه سبابا قبيح ، وبعدي من ينطق برووتر في مري إذا لم « أره عرض كتابي : بل لقد أبقط كتابا صاربا من وكرة في أحد الأركان ، وراح يهيس إليه غيلا - حب يثروتر . . علميا يا ولد ! » . . ثم تحول بحوى يسألني في غطرسة . « والآن . . هل تذهمين لحال سبيك ؟ »

« قدفعني حب الحياة إلى الامتثال لأمره ، وخطوت موق العثة إلى الخارج لأنتظر عودة الأخرس عا دخل معه . ولكن مستر هيثكليف لم يظهر في أي مكان ، أما جيسوزيف ،

الذي ذهبت إليه في الحظيرة ورجوته أن يصحبني إلى الداخل ، فقد راح محلق في وجهي وبمفعم بكلام لا أسمعه ، ثم سمع - أنه وقيل : مهلا ، مهلا . هل سمع إنسان بقي قط شيء كيد ؟ . . ما هذا الكلام الذي تمضيقه وتتشقق به ؟ . . وكيف يمكن أن أعبه ما تقولين ؟ » . . عطفيه مداما بالحسم ، وإن كانت حشوته وفظاظته قد أثارت الشمنزاري البالغ ، وصحت قلته : « لقد كنت أرحوك أن تحضر معي إلى داخل المنزل . . »

— لا تطلبني مني شيئا كهذا . . ملدى ميل آخر أقوم به !

وعاد يستنف عليه ، وهو يحرك في لوبت مسماء محس مصباحه ، مقاما في أزدراء شديد ثوبي ووجهي . أما الأول فكان بالغ الأمانة والجمال ، وأما الثاني فبالي واثمة من أنه كان يحس من الحزن ما كان يوده ويشبهه ! . . صدرت في الغناء حور المنزل . وولحت كوة صعره ، وحذب يميني بعدها أهم - فمعلق أبحث لنفسى أن أطرقه راحته أن أحد أهامي حاد - آخر أكثر دائما . وما لبثت أن متج بعد فترة وجيزة ، ووقف مع رجل طسويل القامة شديد التحول ، مع رباط شقيق ، عيلا عن رائته الثياب التي يرتديها ، وكانت أسمر برده محسنة تحت كس من الشعر المشعث الذي يملأ وجهه ويتدلى حتى يصل إلى كتفيه . وكانت عيناه - هو الآخر - تشبهه سر كاترين ، على نحو محف - وإن تحردا من - حال سبي . . فاندترى في عيوس وصرامة . .

إيلين يروتشي

١٢٨

— ما شأنك هنا ؟ .. ومن أنت ؟

— لقد رأيته من قبل يا سيدي ، وكان اسمي وقتئذ
إيزابيلا لينتون . غير أنني تزوجت من مستر هينكليف أخيراً ،
فأحضرتني إلى هنا ، بإذنك طبعاً !

« فسلاني ، وعيناه تنفذان شرراً كدس حثيث » عز ساد
إذن ؟ »

— نعم .. لقد عدنا لتو ، ولكنه تركني بخوار ، يا
وعندما أردت لدخول ، كان بك الصعر يقب حارس
للمكان ، واستطاع بمعونه كلب من نوع البولدو - ر ، سندس
حتى وليت هاربة ..

« مزمر مزمرتي الحديد ، قائلاً : « لقد أحس الوعد
الجهنمي صنعاً بالمحافظة على كلمته ! » .. ثم رآه بحمير
الظلام خلفي ، مؤملاً أن سنن هينكليف ، وما لبث أن يصق
يشمغم طويلاً بأقدع القاذب السباب ، والوعيد بما كان يستعمله
لو أن « الشيطان » خذعه ، وأخلف وعده ، ظم بعد !

« ونذمت على محاولتي الدخول من هذا المدخل الثاني .
وكنت أكاد أميل إلى المزار قبل أن يعرف من سببه . ولكني
قبل أن أستطيع تمديد تلك التيه . أمرني بالدخول . ثم أوصف
الساب خلفي بعد أن أغلقه . وكانت بالحرة بار عصب
مشبوبة ، وكان ذلك كل ما بشيء تلك الحرة السبحة .
التي اكتسب بلاطها الأصفر لوناً زاهياً موحداً .. ثم لأضواء
اللامعة المراقبة التي كانت تحتدب انظري عندما كت أحمر

التراب وأما بعد عناء صغيرة ، فقد انقلب مرعباً إلى سببه
كبيرة سبب ما علاها من عذارة وتراب ، تشبهاً في ذلك تسان
البلاط !

« وسألت همدلي ايرشو عما إذا كان يحذر بي أن أعود
لوحيدة لترشدي إلى إحدى حجرات اليوم . ولكنه لم
يسمعني على جواب . .. كان يدرع لحره ، هاد وجبه .
ر . سع يذنه في حيونه . وقد بدا عليه أنه نسي وحدتي نهائياً .
نزل من الحلبي أن شرود ذهبه قد بلغ من العمق والاستعراق ،
كما كان مطهره يتم على عداء للبشر جميعاً ، ما جعلني أحجم
عن محاولة إزعاجه مرة أخرى .

« ولا أخالك تدهشين يا إيلين بما اعتراني من شعور
بائس والآسي . وأما حالته عما هو أسوأ من الوحدة ، في
سك لحرة غير المضيامة ، أفكر في أنه على بعد أربعة أميال
بحسب تقع مرلي المحبوب النسيج . الذي يضم كل من أحبيهم
سوى وجه الأرض . وأن المحيط الأطلسي قد يكون هو الذي
سرق سبباً ، بدلاً من هذه الأميال الأربعة ، التي سيحصل على
احتيازها . ورحلت أسئلة نفسي أين أذهب لأتأمل قسماً
لراحه . .. وكان حربي ، الذي غلب كل حزن بجانته
— وأرجو ألا تخبرني بذلك أديجار أو كاثارين — ينفشاً من يأس
من العنور على شخص واحد يستطيع ، أو يود ، أن يكون
حظي صد هينكليف ! .. لقد كنت أشد الملحد . والماوي في
مرتعات وينرج ، في شيء من السور والارتياح ، لأن ذلك
لترتيب كان ظلياً بأن يؤمنني من لعمري معه على أمراء .

ولكنه - واسفاه ! - كان يعرف الناس الذين سرقوا من
بينهم حق المعرفة ، فكان لا يخشى غشوليم ، ولم

« وقضيت وقتا طويلا اليها جالسة أفكر .. ديت سبت
الثامنة ، ثم التاسعة ، ومع ذلك كان رفيقي لا يزال في
ويغدو من أقصى الحجرة إلى أقصاها ، وقد أحنى رأسه
موق صدره ، واستسرق في صمت موحش ، لا يفسد به عجب
خافته ، أو تنهد مريز يفلت من بين شفتيه بين دمع وآخر
وكب أذهب سمعي عني أن اتنبه صوت امرأة في الدار
وأبلا هذا الوقت الطويل بالأحزان الضارية ، والقييد
المروعة عما ينتظرتني من مستقبل مشئوم ، فالتفت
عجرت عن كتفاتها ، فانتظفت من بين شفتي في ..
لم أستطع فهمه .. ولم أفسر ما سمعت في ذلك
تبهل ابننشو في مشييه الرصيصه ممي .. و ..
وحشي في دهشه من يراني لأول مرة ، فسيرت عرصة من
شعوره وانقباهه ، وصحت :

— إنني متعبة من سمرى لطويل وأريد الذهب المزمع
.. فابن الوصيفة ، أو أية خادم أخرى ؟ .. أرشدني إلى
يا سيدي ما دامت لا تريد أن تحضر إلى !

« فاجابني : « لا توجد هنا وصيفات أو خاديات .. وعليك
أن تمنني بنفسك ! » .. وعندئذ رحت أنتحب في أمي ، وبـ
أخرجني التعب واليؤس عن وقاري ، وقلت : « ولكن إن
ينبغي أن أقام إذن ؟ »

— سوف يريك جوزيف حجرة هينكليف .. اغتحي هذا
الباب ، فتجديه هناك .

« فلما هممت بأن أطيعه ، أمسك بي فجأة ، واستطرد
يبول في أغرب صوت سمعته : كوني قهاده طيبه ، ووصدي
دب لحره ، فخرج ثم دعاني لمرايح وراءه . إياك أن تعلمي
ذلك ! »

ولم أستطيع مكره حسن نفسي مع هينكليف في حجره
واحدة بحسن رغبتي ، فغلبت .. حسبا .. وسكن بسدا
بمستر برشو لا .. فخرج من جيب صدره مسددا
بحسن التكوين .. إذ كانت متصل به سورتة سكر ذات حدس
مرهين ، يحركها لولب خفي ، ثم قال :

— انظري .. إن هذه شديدة الأفراء لرجل يائس ! ..
نفس كذلك ! .. أنني لا أستطيع أن أمتنع نفسي من الصعود
إلى الطابق العلوي كل ليلة ، وهذه في يدي ، فأحاول مبع ذات
حجرته .. فلو وجدت الباب مفتوحا مرة ، فقد أنتهى أمره !
.. فعمل ذلك دوما ، حتى ولو كنت في اللحظة السابقة
مشرده أمكر في مئات الأسباب الكفيلة بأن أحجم عن هذه
المحاولة .. وبما من رب في أن شيطاننا خبيثا لا يفسد
بستحقني على إحباط خططي ومشاربعي ، بتحريض على
منه .. وأبك لتفاضلين هذا الشيطان ميثا معها طال بك
المدى ، فعندما حسن الوقت .. إلى كل لائكة ! .. جاء
تستطيع إبقاذه !

« ورجعت ارمق السلاح في عسول وامعل . وعد صرنا على دهني مكرة بشعة عطيفة : بمك اكون قومه حصينه لو استطعت ان احرز مثل هذه الأداة . . . واحديها من يده » ورجع أمر بأصابعي على لفصل المرفع . عدت بسبه الدهشة من ذلك التعجب لدى ارسيم على وجهي لحسنه خاطفة . لم يكن مرعا . وإنما كان حشعا وبلهه . . . سر باختصاص المسدس من يدى ، في حرص لشخصه . ورجعه السكن إلى مكانها . ثم أعاده إلى محبسه . سلا . . . لى لا أبالي أن بحريه ، مدعنه يحدد خدره . وأسهرى سى حمسه . . . وأرى أنك تعرمين سوء ما سينا من سلاب . من الحضر الذى يتهده لم يفاجئك ولم يركك ! »

« مسالته : » ما الذى عمله هنتكليك بمك . ومبادى إليك ، حتى تنطوى له على هذا الحقد المروع ؟ . . . إلا يكون أكثر حكمة وتعقلا ان تأمره بمغادرة الدار ؟ »

« فهدر أيرنشو بصوت كالرعد القاصف : « كلا . . . وإذا اقترب ان يمرقنى ، وسوف بعدو حشه همد . ولو س اغريته على هذه المحاولة ، فسوف تصبحين قاتلة . . . عن قضى على أن أفقد كل شيء ، دون أن تكون لدى الفرصة لاستعديده . . . وهن قضى على عيرون أن يمشى مسحاد . . . يا لعنة ! . . . أقسم اتنى سوف استعيد كل شيء ، وسوف آخذ ماله وذهبه أيضا . ثم بعد ذلك دمه ! . . . أما روحه فستكون من نصيب الجحيم ! . . . ولنسوق يزداد لظاهما سعيرا ، عشرة أضعاف ، عندما يحل بها هذا الضيف ! » .

« . . . ولقد سبق لك أن اطلعتنى ، يا ايلين ، على طباع سيدك السابق . ومن الحلى انه على حافة الجنون ، أو انه كان كذلك بيله الامس على الاقل . وقد اقشعر سدى من نفاء ترسه منه . ورب ر شرابه لحادم الومح بعد سارة لى نمبيا . وكان قد عاود سيره المهوم ، ثمصيت نحو الباب . ورجعت لمزلاج ، ثم عررت إلى المبلع . . . مرأيت حوريف مخنيا نوى الموعد . بمعن النصر فى قدر كبره كانت تخرج فوقه . بينما كان على المنعد حواره عند مع حشيبه ملأى بدفق الشومان . وكنت محتويات القدر عند سدات تلى . فتحول إلى القصصه وهو ييم بدس يده مدب . وحديس انه ربما كان يعد لنا العشاء . وإذا كتب شديدة جوع ، فقد عرمت على أن يكون ذلك الطعام مما أسببىع تناوله . . . وهكذا صحت به ، وأنا أبعد القصصه عن تناول يده :

— سوف أعد ، أنا ، هذا الشريد . .

« ومحبب ابرع قبعتى وثوب الركوب لدى كتب ارتديده ، وبسطررب سله . « لقد اثار على مستر ابرشو ان اعنى بنفسى . وسوف اعمل . . . ملن اقوم بنور السسدة بينكم ، حتى لا اموت جوعا ! »

« مجلس حوريف على مقعد بعدد ، وراح تربت على حواربه المنسلعة من ركبه حتى غشه . وهو بعينه قائلا : لعل هناك اوامر جديدة بعد ذلك ! . . . وإذا قدر لى ان أجد سيدة فوق رأسى ، بعد ان اعتدت أخيرا حة . . . حبيبى . . . مالىو . . . رجه

والبدوء السلام ..! انتهى ما عكف عطفه .. أن رزى يوما مصر
ميه إلى ترك المنزل القديم .. ولكني أحشى أن يكون لوقت غد
جان لذلك ! »

« .. فلم أمر هذه المفاحة أي التفات ، ومضيت مبتدعة
في عملي ، وقد تنهدت إذ ذكرت ربما كان ما أقوم به الآن
حليقا بأن يبدو أصحوة لطيفة .. ولكن سرعان ما اضطرب
لطرده هذه الذكرى ، على استعادة سعادتي الماضية به باطرتي
كأن سبب لي عدايا وشقاء لا قبل لي باحتياله .. وكب
كلما أشد حطرت استحصار هذا الشبح من عيني بأصفي ..
أمر عت في تقلب الثريد ، ومناسعه قذف عصبان لدعوى في
القدر .. وكان جوريف برقب طريقتي في البحر سحبح
مترايد ، وما لبث أن صاح قائلا " هيرتون .. ملك لن يسول
عشاءك من الثريد لليلة ما سي ..! على يكون لا مثلا كبر ..
خامه كفضه مدى .. ما هذا ؟ .. لو كنت في مكدت / لعب
القصة كلها بما فيها في القدر ..! ما شاء الله ..! وما
هذا الدق بالمغرمه ؟ .. من حسن الحظ أن مع الشرير
يسقط في النار ! »

" واعترف أن الثريد عذب سكب في الأطناق كان عذبة
خشنا .. كانت أربعة أطباق هي التي أعدت للعشاء .. كما
أحصروا أبريقا كبيرا ملوئا باللبن الطارح .. أمسد به هيرتون
وراح يشرب من قوهقهه ، واللبن يسيل من مين شفته
الممدودتين .. فاعترضت ، ورغبت إليه في أن يحد بحبه

في تدحه ، مؤكدة أسي لا يستطيع أن أدوق طعمها أو شرايا
تتبادلها الأنواه بهذه القذارة .. ولكن المهرج المجوز رأى أن
بيدى شعوره بالأهانة البالغة التي لحقت به وبألمه من
ملاحظتي الدقيقة ، عراح بردد القول في تأكيد من " الصبي
لا يقدر طبخة " عني .. ولا يتل مبدعا وبطامة .. وبعبث
كيف استطعت أن أظهر مبدع الحياء وهذا العرور ..! وفي
الوقت نفسه كان الوغد لصغير مستهرا في لعق اللس .. وهو
يحذرنى منطرات نارية ملوثة المحدثي .. وقد ترك لعابه يخلط
باللبن في الأبريق !

« عندئذ قلت : « سوف أتناول عشائي في حجرة أخرى
.. أوجد لديكم ما تسمونه حجرة الجلوس ؟ » .. فأجابني
مأخرا متهمكا : « حجرة الجلوس ..! حجرة الجلوس ..!
كلا ، لا توجد لديا حجاب للصوص ..! إذا كانت مسجسا
لا تروك ، مياك السيد أدهى إليه .. وإذا لم يترك السيد
نما نحن تحت أمرك ! » .

« فاحمته قائلة : " سوف أصعد إلى الطائفة العلوى ..
أرني حجرة أحسن منها وكب قد وسعت طبقى مسوق
صحفة ، كما ذهبت بنفسى فأحصرت بعض اللبن الطيف ،
فنعنى حوريف بعد بألف وبشعر عطش .. وبمدي مسوق
الدرج ، حتى يلعب بالحجاب العلوى .. وكان بين الحين والآخر
بفتح بابا وينظر بداخل الحبرات التي كما مختارها ، وأخيرا
رفع لوحا متداعيا من الحشب .. نحر محصلاته صبرا قنحا ،
وقال :

اميليو يوروتشي

٣٩

بالتدبث ، لانه يومئذها دائها ولا يسمح لمخلوق بان يدخلها .
غيره ! »

« لم اتمالك نفسي من القول ، بل انكم مد رلا حملا
يا جوريف ، يضم عشرة لطيفة ساره . . وما اظن إلا ان
الخلاصه المركرة لشر انواع لجبنون في العالم قد اتحدت ليا
مستقرا في عقلى يوم ان رسلت مصرى مصائرهم وقدرى
بأقذارهم . . ولكن مهم يكن من مر غان ذلك ليس موسع
البحث الآن . . ان هنالك حجات اخرى ، مماشذك الله
واسخطك بحق السماء ان تفرغ مترشدنى إلى مكان اقر
فيه قليلا ، أينما يكن هذا المكان ! »

« ولم يحبس بكلمه على هذا التوسل ، بل احد يهدد
الدرجات الحشويه للسلام في مسيق وترم حتى وقف أمام
حجرة ادركت من وقعه ، ومن أثنائها الممار ، ام حرم حشرات
المزلى . كانت بها سجاده . . سجاده حيده ، غير ان مقوشها
ورسومها كانت مطبوسه تحت اكلاسي لغبار الملبده . وكنت
بها مدماه لصق على لحدار نومها ورفى ملون ، مسزق بتدلى
تقطع وشرائح غير مبسطه . . وعراش عريض منخر من خشب
اللوط تحوصه سدس مصاصه قمرية اللون من قماش
ثمس وصر حديث ، وإن كان من الواضح انها عابت الكثير
من سوء الاستعمل . إذ كانت أطرافها العليا غير مشدوده ،
بل تتدلى في دوائر وقد برع من حدهم . . على حين كن
القضييب الحديدى الذى يحملها مسخر كالمزى من احد

— هالك حجرة تصلح لتناول عشائك فيها : . . ومصفوف
تجدين كبسا من القمح في الركن . وهو كس حسب تمامه . .
ولكن إذا كنت تختشين اطلاق ثوبك لحريرى المعلمين ، بشرى
متديك فوخته وأجلسى عليه !

« وكانت تلك (الحجرة) اشبه بجحر مصوح من الخشب ،
بمصح منه رائحة الحبطة والشعر القوية . وقد درست حول
حدرانها ركائب هذه العزل بركه مراعا مسح في ربيحه . .
مالتمت إليه « وواجهته عاصبه ، وبا صيحه به « يا هذا
يا رجل ! ليس هذا المكان الذى يصلح نوم . . متى تريد
ان ارى حجرة نومى ! »

« فعاد يقول في لهجته الساحره : « حجرة النوم ؟
لقد رايت كل ما لدينا من حشرات النوم . . إلا حجرة نومى ،
. . ثم أشار إلى « الوكر » المحور الذى لم يكن يختلف عن
الاول إلا في طلو حدرانها من الركبت بوسا . وفي احواله على
فراش عريض منحصر . حال من لسنذر . على أحد طرفه
لحاف مصبوغ بالنيلة !

فقلت اجيبه : « وما حاجتى إلى غرفتك ؟ . . أحسب ان
مستر هيثكليف لا يقيم فوق سطح المنزل . اليس كذلك ؟ »
. . قصاص كانها وقع على كشف حديث : « أه ! . . أهى حجرة
مستر هيثكليف التى نردين ؟ . . اما كان يوسيك ان يقول
ذلك من أول وهلة ، حتى كنت أخبرت بتدلا من كل هذا
الوقت الصانع . . إنها الحجرة التى لن نستصعى رؤيتها

جائني الفرائش وقد تدلت السقائر منه تجرجر أذيالها على الأرض .. حتى المقاعد كانت تالعة ، وأكثرها مهشم تماما ! .. وكانت ثمة محورات عابرة عيشه تشسود بوح الجنس اللثمين التي تكسو الجدران ، وتدلل على ارتطام أجسام صلبة حادة بها ..

« وكنت أحاول أن أستجمع عزيمتي للدخول إلى هذه بحجرة والإبقاء عليها ، عندما علمت مرئعاتي لأحق أن هذا هنا حجرة السيد .. وكنت أعيد عند برد ضمامي .. وعرفت شمسي وبعد مسرى .. تحدث لي عنه في أن مسي على مكان لها إليه واحد فيه وسأل الرحمة الخ المثنين يقول : « وأين بحق الشيطان ؟ .. ليروحنا الله ! .. ليغير لنا الله ! .. أين نريد أن نسيكنا بحق الجنس است به العروس الممسة ! .. لقد ريت كل شيء إلا حجرة هيرتون الصغيرة .. ولا يوجد في المنزل بعد ذلك حجرة صلبة آخر تاوين إليه ! »

« وكان المصعب والسوق قد نالا مني .. مضوحت بالحسنة وبحتوياتها من يدي إلى الأرض ، وجلست فوق قمة الدرج .. وأخفيت وجهي بين يدي ، وانخرطت في البكاء .. بينما كان جوريف يصيح :

— أح .. أح .. مرحي .. مرحي .. ! .. أنك قد أحسنت صنعا ! .. سوف يتعثر السيد الآن في هذه الأوعية المخطئة .. وسوف نسمع منه الكثير .. سوف نسمع منه ما نسمع

وما لا ينبغي .. أنت أمتنا الحباء الصائشة ! .. أنك تسحقين أن يخل حسبك وبهرل من أن حتى عند الميلاد لأمالك سمم الله الثمينة تحت الأعداء في مصبك الأحمي .. وكلي لا أكون أعرف شيئا إن استطعت أنت إطر هذا الحلق .. شيء طويلا ! .. فقل تظنين أن هينكليف سيسكت على هذه الأعمال الطيبة ! .. ألا ليتة يضبطك الآن مئلسة ! .. ليتة يأتي ليري ما فعلت !

« وهكذا ظل مطلقا في مسه لم .. بسبب كان مطا له .. إلى وكرة في الخديق الأسير .. حيلة لم يصح معه .. ودارك سي في إطلاقه ! .. وقد استعمر مرة أعفكر التي تلت هذه لعملية لطائشة لي لاصباح .. مني يجب أن أفسد من كدواني وأن أكنج حجاج عيسى .. وأن أسارع إلى إزالة آثار ما فعلت .. وما كدت أهم بالعمل .. حتى بعث بي الفدر بمساعد علم متوقع .. في شكل " ثروتر " الذي عسرعت عنه .. عندما ابن كلينا انقدم " سكالكر " .. وكان قد قضى فترة (الحبيسة ..

« « الحرابة .. من أن عيشه لي إلى ما بر هلال .. وأعلب الطن أنه عزمي .. فقد مسح أمه بأفقر على سبيل المحبة .. ثم أسرع إلى ليام التردد مساعدة لي على تنظيم مكان من آثار نمر بي وطيني .. من كلف اتنمل من درجه إلى أخرى لأجمع قطع الفخار المخطئة ، وأمسح مبدلي رشاش اللس المطاير موق أسياح .. وب كدنا نزع من مئسنا .. حتى سمعت وقع خطوات برنشو في الممر ، فأخمس مساعدي فإنه وحشره بين عذبه .. ثم اتصق بالجدار حاد .. على حين

أسرعت أسنق الحصى إلى أقرب باب إلى مأخضت بلاطه .. وقد فشلت محاولة الكلب تجنبه ، كما أدركت ذلك من الجلبة الناشئة عن عدوه السريع ، ومن عوئه الطويل الأليم .. ولكني كنت أسعد خطأ ، فقد بر الحجرة التي أحبيب فيها من الكرام ، ومضى إلى حجره ثم أوصد بابها وراءه .. وفي اللحظة التالية كان حوزب يصعد مع هيرتون لضعفه في فراشه .. وكانت الحجرة التي اتحدثها ملجأ لي هي حصره هيرتون ، فلما رأيته الشيخ الفاني قال :

— ها قد وجدت حجرة لك ولكرسانك في المنزل ، كما أرى .
إنها خالية ، ويمكن أن تنع لكها معا ، وحاشا لله أن يكون
ثقتكما في مثل هذه الصحبة الشريرة !

« وتلقمت هذا الإيعاز سرور بالعم ، وما كدت التي تنمى فوق أحد المقاعد بجوار الباب ، حتى هومب ، ثم استعرت في النوم .. وكان نومي هادئا عميقا ، وإن لم أستمع به طويلا ، فقد أيقظني بستر هتكلف — وكان قد رجع لقوة من الخارج — ليسألني ، بلطفه الرقيقة الصبغة ، عما أعله في هذا المكان . صحرته بسبب بقائي إلى هذه الساعة المتحررة ، وهو أنه كان محتطم مفتاح حفرها في حبه ؛ وكان لاستعمالي لضيق الجمع أثر رهيب ، كأنني أركبت إثما مميتا .. فقد راح يسف ويتسهم أن الحجرة ليست حترتي ، ولن تكون حترتي يوما ما ، وأنه سوف .. ولكني لن أعود على مسامعك ألفاظه ، ولن أصف لك بسلكه .. استمر .. دور .. دور .. البراعة والذهاء ، ولا يقر له قرا .. استنارة حقد .. كراهية



« وهكذا ظل منطلعا في ناسه لي ، سيما كان يهبط الدرج إلى وكرة في الطابق الأسفل ، حاملا الشمعة معه .. »

.. وانى لياحدنى الدهشة ويسولى على الدهول كلما مكرت
 فى امره . متكون دهشتى من العبق بحث نطلى على حوى
 منه .. ولكى اؤكد لك أن نهر ' معترب ' او امعوانا سلبا لا
 يمكن ان يثر فى معنى ما يثره هو من الرعب والفرع . وغدا
 انبأى بمرض كائرين ، واتهم اخى بأنه السيب فيه ، واتقوتى
 باننى سوف أبوب عن ادجار فى مباساه الآله والاعداد ..
 حتى يستطيع ان يضع يده عليه !

« اننى اكرهه ، اكرهه .. يا لى من تعسة شقية ! .. وكم
 كنت حقاء طائشه . ولكن حذار ن تتغلى بكلمه من ذلك لاحد
 فى (الجرائج) .. وسوف اتوقع حصورك يوما بعد يوم ..
 وكل ما أرجوه ألا تتغلى عنى وتخيبى املى .. »

« ايزابيلا »

الفصل الرابع عشر

ما إن عرعب من تلاوة تلك الرسالة ، حتى ذهبت إلى السيد
 أخبرتة بأن أخته قد وصلت إلى (المرمعات) وأنها أرسلت
 لى خطاها بعرب فيه عن اسبابها لما أصاب سز لينتون ، وعن
 رغبتها الحارة فى رؤيته . ورحلتها فى أن يرسل إليها معنى . فى
 أقرب وقت مستطاع ، ما يدل على صفحه عنها !

فقال لينتون : « صفحى عنها ؟ .. ليس لى ما اصفع
 عنها من أحله ما ايلين .. وبممكن ان تدعى إلى (المرمعات)
 ويدرچ ، بعد ظهر اليوم ، إذا شئت . وأن يقولى لىب اننى
 لست عاصد منها . إنها أنا أسف من أحلها . خرس لأنى مقدتها ،
 .. سبب وأسى لا أستطيع ان اعقد القه سبها سوف تكون
 سعيدة . وبمها مكن من أمر . ما دهانى لرؤيتها لا يمكن ان
 يكون موصع بمكر ، ما مراقنا ادى .. أما إذا رغبت حقا
 فى أن سدى إلى حملا . مدعيا تقنع الوعد الذى تروحت منه
 بأن يترك البلاد ! »

فألتته بموسله : « وهلا بعثت إليهم برقمه صغيرة
 يا سيدى ؟ »

— كلا ، فلا حاجة بنا إلى ذلك .. وإن اصبالى بماتلة
 ميتكليف أمر لا يمكن تحقيقه . كاساله بعائلى . ولن يكون
 له وجود قط ..

وقد أحرنتى مرود مسنر ادجار بك ، ووجدت كدهسى .
 على طول الطريق من (الجرائج) ، حدث عن أبوسيلة ابنى

أخف بها من وقع كلماته ، عندما ارددها على يد 'عبد' . . .
 وكيف أهوى من رمصه كتابه يصعب كلمات يبرى سانس
 ايزابيللا ، وأحسب أنها كانت سرقب حصورى بعد لحساح .
 إذ رايتها تنظر من خلال سحاف الباعده . بينما كنت حائر
 الطريق المؤدية إلى الحدائق ، علما أنمات إليى برأى محبيه .
 رأيتها تتراجع عن الباعده . كأنها محشى أن برأى حد
 ودخلت البيت دون أن اطرق الباب ، فبأ رأت فى حسانى
 منطرا أبشع ولا أظف من المطر لذى سدوسه بعد نقد
 المرح . . . ولكن لا بدلى من الاعتراف بنلى لو تك فى مكان
 السيدة الشابة لقمعت ، على الأقل ، بكس الأرض حول
 الموقد ، ولمسحت الموائد بقطعه من القماش . . . ولكنها كانت
 قد تشبعت بروح الإهمال لقى تسود كى من يحيط بها .
 وكان محيطها الجميل شاحبا مصعرا . بدو عليه 'العصف'
 وقلة الإكتراث ، وشعرها مشعنا غير مرحل . وقد تدلب
 بعض غداثه فى غير نظام ، بينما عقص ماتقبا حول رأسها
 فى إهمال . أما هندامها فكانى أبنى رجعت أبنا لم تفسى
 ثوبها منذ مساء اليوم السابق . . . ولم بكر هندلى هناك .
 أما مستر هيثكليف مكان جالسها إلى مقصده ، نقل بعض
 الأوراق فى مفكرته ، ولكنه نادر إلى الميوض عند طبورى .
 وسألنى عن حالى ، فى كثير من الود ، ثم قدأ لى مقعدا . وكان
 هيثكليف الشىء الوحيد الذى سدو فى هذا 'المكان نطيف'
 محترما ، حتى لقد خطر لى أن مطبوره لم يكن يوما خيرا ما
 هو الآن . . . ولقد بلغ من عظم ما فعله الأحد ، من تسدل

مركزيوما ، أنه كان يبدو فى نظر الغرب الذى لا يعرف
 مشهده . كما ولد ورى فى وسط النلاء والأشراف ، على
 حين أن روحه كانت تدو كدما امراه صغيرة نشأت وسط
 الأتذار والإهمال وسوء التربية !

وبعدت امريلا لنحيتى فى لثمة وطفى . وبدت إلى إحدى
 مدبى لتلقى الحطاب المنتظر ، فبررت رامى . . . ولكنها لم يفهم
 تلميحى . وبمعنى إلى خزانة شاب كيت أهم من أسع عيب
 قبعى . وهى سوسل إلى فى هدى من اعطيا لآثر ما أحسبه
 معنى . . . وقد حدس هيثكليف معنى مناوراتها ، فقال :

— إذ كان معك شىء لامريلا . ولا بد أن يكون معك شىء
 بها بنلى ، ما عليه لها ، ولا ححه لك إلى امتساره سرا .
 فلا أسرار بيننا . .

ورأى من لامس أن ادكر النقيقة من مورى ، ماتحت .
 « آه . . . ليس معنى شىء البتة . وقد طلب إلى سيدي أن
 أخبر شغفته بأنها لا ينبغي أن تتوقع منه زيارة أو خطابا فى
 الوقت الحاضر . . . وهو سمع إليك ، يا سيدتى ، بحبه
 ونسيانه كى بالسعادة ، وصححه عما سببت من أضرار ،
 ولكنه يرى أنه سيمى بعد الآن قطع كل صلة من أهل منزله
 وأهل هذه الدار . تلك الصلة التى لا يرجى من قيامها
 أمل قط !

عاربحت شمنا مسر هيثكليف رجفة طيمية ، وعادت إلى
 مقعدها بجوار النافذة ، أما زوجها ، فقد برز موعده .

بالواجب ، ولكن بصورين أنتى قد كثرين لإساسته
وواحده .. أنت قل - بفادري هذا المرر يجب أن يعديني
سبيته لقدم سبي وسعيا . واعلمى أنه سوا رصست أنت لم
أبيت ، فأننى سوف أراها حتما .. فماذا تقولين ؟

.. أنقول بما مستر هيثكليف إنه لا يسعى لك أن تطلب الم
ننت . ولن يدل شئ منه عن طريقى قط . على لم أحر منك
وبين السيد سوف يقتلها حتما !

فاستطرد يقول دون أن يبالي باعتراضى :

— ربما أمكن تجنب ذلك بمساعدتك . أما إذا نشأ أى
خطر من وراء مثل هذا اللقاء ، أى إذا كان سيدك ساجدا فى
تعمير صموغاه مرة أخرى ، فمخسسى أكون على حق لو
محست معه إلى بعد الحدود . وأنتى ، يا نللى ، أرحبوا أن
تكوى صدقه معى متخبرسى هل تتألم كثرس كثيرا إذا
معدته ؟ .. ما الحوم من إبلاميا هو لذي يعمل بدى عن
لمساس به .. وهكذا تربى الفرق بين شعورى وشعوره .
سو كان فى مكانى ، وكنت فى مكانه — مرعه اسى أمشه مقنا
حل حياى إلى مراره متصله ! — لما رعبت عليه بدا . ربما
كنت لا تصدق ما أقول ، كما عو طاهر فى محبتك ، ولكن
ثقى امنى ما كنت لأحرره من صحبتها طالما كانت راعيه فمدا !
.. أما فى الحطة التى تكف فيها عن التعلق به ، ماى أمرق
تألمه مزمقا ، وأبى من دمه حتى أرتوى ! .. ولكن إلى أن يحدث
ذلك — (وإذا لم تصدقنى فأنك لا تسمع منى) — إلى أن

قريبا منى ، وبدأ يلقي على الأسئلة عن حالة كاثرس
بما وجدت من الأليق أن أقوله عن أسباب مود
أما ترى بوابل من الأسئلة المتلاحقة حتى أنتزع منى الحس
المتعلقة بمنش هذا المرض . وقد وحسب سبب سبب
تستحقه ، لأنى هي التى جلبت ذلك كله إلى سبب
ختمت حديثى بالأمل فى أن يحدو حدو مسر لسبب
أى تدخل فى شئور عقلته فى المستفس . سوا
للشر .. قلت له :

— لقد بدأت ممز لينتون الآن تتماثل للشفاء ، ولكنى لن
نعود إلى حالتها الأولى قط . بعد أن يجب من
وإذا كنت حقا تحترمها وترجى لها الخير ، فعليك أن سحب
اعتراضى طريقها مرة أخرى . بل إنه ليجدر بك أن سحب
البلاد نهائى ، وهو أمر لن تسب عليه عدو
الآن تختلف عن صديقتك العديبه كثرس أريما
هذه السيدة الشابة لقد مصر مطهرها تغيرا كبيرا
خلقها وطباعها والرجل الذى يحد نفسه مضطر إلى سبب
بحكم الضرورة ، لا يقيم أود عاطفه . من
على ذكرى ما كانت عليه يوما من الأيام . وبدأى من الأسبب
والشعور بالواجب !

فاصطبح هيثكليف الهدوء ، وعقب على كلامى قائلا :

— من الحائر أن يكون الأمر كذلك . من الجائز حقا
الاجد سيدك شينا يتعلم به سوى إنسانيته وشعوره

بحدث ذلك عانى حصل أن أموت موباً بطلتاً من ... من ...
واحدة من رأسه !

فقاطعت قائلة : « ومع ذلك فانك لا تسرع من خصمك من
أهل في شغائهم التام ، بإقحام نفسك على ذاكرتها التي ، بعد
أن أوسك من أن سناك . وأما من هم في دولة حسنة
من المتاعب والمنازعات ! »

— وهل ترعش أيها أوشك على سساي ... 'رأه' سساي'
.. انك تعلمين أن ذلك غير صحيح . وأنها لم تسبى مع
رأيت سساي ... كما علم ... 'أد' سساي في ليدون ...
لمكر في الف مرة ! .. ولقد طيب سساي من هذا 'المس' و
فترة من اشقي أيام حياتي ، وكان هذا الظن لا بد من ورين
عندما عدت لي هذه الأبحاث في الصيف الماضي ولكن ... من
شيء جعلني بقدر هذه لمكرة المصعة مرة أخرى ، إلا أن
'سسم' تؤكد لي سساي . وعندها لن يكون ليدون شمساً
في ناظري . ولا هيدلي . ولا أي حلم من سساي الأمل ...
طالما انتهيتها .. عندئذ سوف ينطوي مستقبل كل تحت
كلتين : الموت ، والجحيم .. سوف يصبح وجودي كله
حسباً إذا مقتنيها .. ومع ذلك فقد كتب ... 'أله' سساي
تصورت لحظة أنها بعدد سساي 'أد' سساي أكبر ما كان ...
أنا بها .. وإذا كان يحيا بكل ما في كيانها السساي ...
من يحيا في مدى شمسها كحسب لب موباً ، هذا ...
لكاثرين قلماً عمتها كقلبي ، والأسر أن يحسب ... 'أد' سساي
معلب الحواد هذا ، من أن سساي 'أد' سساي كلب

هراء ! .. إنه لا يكاد يسمو درجة في الاعزاز لديها عن كلبها
أو حوادها .. إنه لا ينطوي على شيء يجعله مذبذباً ، مثلي .
كيف تستطيع أن تحب فيه شيئاً ليس من خصائصه ؟

تصاحت أيزابيللا في اندفاع مفاجيء :

— إن كاثرين وأدحر يتبادلان الحب ... من ... من ...
وليس من حق أحد أن يحدث عنها على هذا 'الندو' . كما
أسي لا 'سطلع' السكوت على سساي 'أد' سساي فندره
إلى هذا الحد !

فأجابها هيثكليف في ازدياء :

— إن أخاك يولع بك أشد الولع أصلاً ، السساي ... ذلك !
ومع ذلك منه ينكر لك ويبركك تهمس على وجهك في الدماء
تحت رحمة الأقدار ، في سهولة عجيبة !

— إنه لا يدري شيئاً عما أقاسيه من آلام ، لأنني لم أحره
بذلك ..

— إذن فقد أخبرته بشيء آخر .. لقد كتبت إليه ، اليس
كذلك ؟

— لقد كتبت إليه أحمره سساي ، وقد رأيت خطائلي
بمسك ..

— ولم تكتبي شيئاً آخر منذ ذلك الحين ؟

— كلا ..

فتدخلت قائلة : « أن سساي ... شيء ... شيء ...
حالة سساي سساي تفر حالتها .. والظاهر أن هب ... بعض

الناس « قد تضاعف كثيرا بالنسبة إليها . وربما كان في وسع
أن أحدهم من هم هؤلاء الناس ، ولكنني لن أسميهم ! »

فقال هينكليف : « أحسب أن الذي تضاعف هو حبها هي .
فقد فسد خلقها حتى غدت مجرد امرأة مهلهة مشاكسة .
بل لقد تعبت سريعا من محاولة إدخال السرور على ، على
نحو غير بالوف . وقد تصعب عليك تصديق ما أقول . ولكنك
في صبيحة يوم غرسف بعثه كنت منك وتريد العودة
مزلها ! .. ولكنني سوف أرميها كيف يوطئ نفسها في البيت
في هذا المنزل ، والردي بما قسم لها منه . وسريعا أعبر
بوسائل الصحة على معيها من إلحاف العازس سحوال
خارجة ! »

فاجبت قائلة : « حسنا يا سيدي . أرجو أن تدخل في
اعتبارك أن مسر هينكليف اعتادت أن يجد من معنى ب
ويقوم بخدمتها ، وأنها نشأت وربيت كأنسة وحيدة .
سارع الجمع إلى خدمتها . لذلك ينبغي أن يخدم لها
وصيفة ترعاها وتعمل على تنظيف المنزل وزيده . كما
ينبغي أن تحسن معاملتها وأن يكون لها رفيقا . فمهما كان
رايك في مستقر أجدار ، فإنك لا تستطيع أن تشك في
قدرتها على العواطف القوية . وإلا لما تركت الراحة ولزمت
والاصدقاء في منزلها القديم وأنت راضية بقمعك معك في
برية موحشة كهذا المنزل ! »

— لقد هجرت ذلك كله تحت تأثير الأوهام التي تصورتي
في عينيها كقط من أبطال القصص والروايات الغرامية .

منوقعه . نجد من إحصاء وروايات وشبهات في شمس
رعبانها إلى درجة غير محدودة . وإن إصرارها الأحمق على
اعتناق فكره خيالية عن خلق ، وتصرفها الأخرق على
أساس تلك الأحاسيس التي كانت تنمينا وتعدي في نفسها ،
ليجعلني أنظر إليها كهلولة ليست به درد من معنى . وسريعا
أحسبها قد بدلت تعرفني على جفسي حيرا ! .. علمت أن
أرى منها تلك البسمات البلهاء ، ولا تلك الحركات السخيفة
لتي سبكت بها وحبها ، والتي كانت تسمى بها في ماضي
الامر . كما لم أعد أجد عليها ذلك لعمر الأخرق عن نفس
ما إذ غلبت حاد . م هارلا عندما كنت أمد لها رأيي فيها وفي
عصبتي . .. وبعد كان حيدا باهرا من لقطه ومعد
لنظر من بكسب مني ما أحسب قط ! .. فقد كنت أعتقد .
يوما من الأيام . أن به دروس بلعاف على مدى لا يمكن أن
يكفي لكي معنى ذلك ومعهم . ومع ذلك يبدو أنها قد وعته
على حد . . . دألت لي هذا السباح . كما هو كانت مسد
ومت على اكتشاف مروع . أنني قد نجحت فعلا في إثارة
كرهتها لي ! .. وهذا العنري عمل حار بحتسح إلى مرة
خارقة كقوة هرقل ! .. ولو أمكن اتهامه لاستحق مني
الشكر والحمد ! .. فهل يوسعني أن أثق في بتأكدك هذا
ما بزنسلا . أنت واثقة حسا من أنك تكرهيني ؟ وهن لو
تركتك وحيدك يوما أو بعض يوم ، لا تعودين إلى مسارعة
ناكية ؟ .. وأحسب بها كانت بود لو نجاها من الحس والرقه
أماك يا ظلي ، فإن كشف الحقيقة . ربه . . . سره . . .
كبرياءها وغرورها ، ولكنني لا أباها أن أكرهها إذا لم يبق لي

الحب كان من جانبها وحدها ، وأنتى ما كذبت عليها أو
تظاهرت بحبها قط . وليس في وسعها أن تتخفى بى
أظهرت لى رفاقا ولنا كاديس حد عين . بى رى شى ربه
منى عندما غادرت الحريم . هو أنتى شريف كى نصف .
ولا بوسلت لى أن أبغى عليه . كنت أولى كلمتى التى مضت
بى أنتى أعريت عن رعيتى فى شئى كى من ست أنتى مضى .
الإشحماء واحدا ! .. ولعلها أعترت عبدا لاسئد مضى
عليها هى ! .. ولكن قصوتى ووحشيتى لم تثر إلا شمساز
فى نفسها ، وأحسب أن فى أعماقها إجماعا عطفيا بها لما فى
شخصها العالى منأى عن الأذى ! .. و" .. إلا نرس ر
هذه الكلمة الذليلة الحقاء قد بلغ على درى لى شحم .
وأروع آتات الغد عندما راودها ذلك الحلم الأرقى . من
يمكن أن أحبها ؟ .. أخرى سسبك ، ما طلى ، دسب لى
اللق قط فى حياتى بأسرها ، شينا حقرا خسبها مطلقا .
بل إنها لشئس اسم لستون . لفسد كى أحف من قسوم
أصانا - لا القمن كان موزنى فى استنساظ وسائل تعدسها .
فكيت أترأخى فى اختصار أقصى ما يطلع احتيال . ومع ست
كاتب ترحم على ركتها فى خسوع وتذل . ولكن أخرته
أصب أن يرشح قلبه الأخرى وسلطه الغضابة - غاشى البرم
حدود القانون بدقة بالغة ، متحسا حتى هذه اللحظة كى
ما يعطى الحق فى طلب الفقرة سننا . والأكثر من ذلك أنتى
لن تشكر أحدا على إيمادها عنى ، ولكنها إذا رغبت فى
الذهاب ، فعلى رسالها ! .. فإن المضايقات التى شرها
محضرها النكد ، تطغى على المتعة المشتقة من تعذيبها ..

فقلت له : « هذا يا مسقر هيكليف كلام رجل مجنون ،
وأعجب الظن أن زوجتك قد اغتنمت بحبوك ، ولهذا السبب
حبلت عشرتك حتى الآن ! أما وقد قلت الآن إن لى الحيار
فى الذهاب - ملا شك فى أنها سوف تبعد بى هذا البصرح ..
وأحسب يا سبدى أنك ست متونه مسئولة بى شى
تبقين معه ملء اختيارك ، اليس كذلك ؟ » .

سأبمنت أيزابيل تقول ، وقد تطاير من عينيها شر الحقد
والعيط . حتى لم يعد لدى أى شك « عبد روبيها وسيم
التسمر لذى رسم عيها . فى ليحاج الشام لى كلب به
محاولات زوجها ليجعلها تهتة :

— حذار يا ايلين ! لا تصدق كلمة واحدة مما يقول .. به
شيطان كقوب ، بل وحش تجرد من صفات البشر ! .. بعد
أحرمى مره قبل الآن أن بوسعى أن أتركه - قدسب لى
المحاوله . ولكنى لا أحرز الآن على إعادتها مره أخرى ..
قط عدسى ما ايلين ألا تذكرى كلمة من حديثه الشرس لأخى أو
الكاترس . معب ادعى أمامك . عيه إتما سسب لى لإسره
الدرس والقنوط فى نفس ادهار . ويمول إنه قروح منى حرم
سكور له السمنرة عليه .. ولكنه لى يبال هذه السمنره .
سوف أموت قبل أن يحقق أمسه هذه .. وشى ما أرجو .
وأدعو الله ، أن يشفى حذر الشيطانى مره ، فسقتلى .. من
المتعة الوحيدة لى أتصورها - هى أن أموت ، أو أراه متا !

عقال هيكليف : « صه ! .. كنى هذا الهراء الآن . وسب
ما طلى أن تذكرى كلماتها هذه إلا بى سبب فى محكمه

.. ثم تأملى هذه المسحة المقلوبة ! لقد قاربت الدرجة التى تعجبني وتوافقنى ! .. كلا يا ايزابيلا ، انك لا تعلمين ان لحماية نفسك ، ولا تؤمنين عليها . ولما كنت حاصك الثمر .. عائد لى من حرك سحب خراسى . ممها كى عن .. بعيد بمرا . والآن ، دعدى إلى الظلم العاقبى . رادى شيئا اريد ان اقله لايلس دينى . ثلا . لى عدا .. الضريق . إيا قلت لك صعدى . .. لاد دعاه لىث صربو الصعود يا طفلى العزيزة ! »

ثم امسك بها . وراح يحرق حتى ملوح بها خارج الحجرة . وعاد ليغمم مثلا . إبنى حسو من السحب . محرد من الرحمة ! .. وكلما اردات الدندل بلوب وموحا . اردت حسمى إلى سحب وإجرح احشائها ! .. اردت لطفل عده تنب أسفانه ، وكيف يثلف على العضم والمصغ ؟ .. ان بى لهفة معنوية مماثلة ! .. ولكن طحنى وحريق أسانى يزدادان قوة وحبية ، بنسبة ازدياد الألم بالفريسة ! »

مقلت وقد أخذت قسعتى من المشحب . " وهل نعم لكلمة الشفقة معنى ؟ .. هل شعرت قط فى حياتك بلحسة مسية فى قلبك ؟ »

مقاطعتى مثلا . وهو يرى عرمى على الرحيل . " صعى هذه جانب . لم بح وقت انصراعك بعد . والآن اسمعى يا البلى : إبنى لا بد لى من ان انصعك . أو رعبك . على مساعدتى فى تحقيق ما عتدت عليه لعرى من مقابلة كثيرين . صبر إهمال أو توان . واقسم لك إبنى لا اصبر شأ أو صبر .

وليس بى من رعية فى إثارة المشاكل ، أو إغصاب مستر لىبون و إهساته .. فكل ما أريده هو أن أسمع من ثم كثرين كيف تجد نفسك الآن ، ولماذا تعرضت لهذا المرض الشديد ، وان أسألها ان كى موسى ان أودى لها حده أو كوى دمع لها على نه صوره . لقد حسبت فى حديثه لحبر .. ليلة الأمسى ست ساعات متوالية ، وسوف أعود إليها الليلة . تب . بر اسم ان اكف عن اشد امكس كر ليله . وكل يوم . حتى أحد مرضه لدعوله . ولو انتم من ادحا لىبون ، فلن اتردد فى أن اصرعه ، وأكبل له من الضربات ما يكفى مقابه بلا حرك مدة يتأذى مع . .. إيا إذا تعرضت حذر . مسعت لرحمى على معاداة المنزل مددا إياهم . .. ولكن الأقرب من الأفضل ان نمنع أسباب احتكاكى بى . .. بى وسعت ان يعللى ذلك فى .. بى برك بحضورى ، وعندئذ يمكن لك أن تهينى لى سبيل . .. بى ان يحس بى أحد . بحد ان يحدث بحد . بى بركين المكان حتى أبرحه . وثقى ان ضميرك . .. بى برك . لىث فى نوعه انما تحولس دون وعى . بى برك ! »

فاعترضت على أدائى دور الخالدة فى منزل مخدومى ، خلا من اسم بذلك انما أسحت قسوة وأدسه لى . .. هدوء مسر لىبون وراحتها ، مرضاة له وإشباعا لرغباته . .. ثم أردفت قائلا :

ان أى حادث عادى يحدثه لىبنا أعطرا لى . ..

أصبحت اعصبيها كلب شديدة الوبس . ولا يمكن أن تحمل
المساحة . أبى واقفه من ذلك . فلا تزدد إلحاحا وبصر
بأسى . وإلا اضطرب لإحمر سدى مديرك . وسوء
سدد لإحمرات الكيلة بحمايه مرله وبسكه من مؤس هذا
النطق غير المرغوب فيه !

صباح منكلف . في هذه الحالة يوم الأحد ما الإيجاز
الكيلة بسجنتك هنا يا امرأة ! .. فلن تفادري (مرتفعات
وسريج . حتى صباح الأحد . وأبى حراجه بسجنتك
أن كائرين لا يمكن أن تحصل رؤى . ما بسجنتك .
فمن لا أوده . وعليك أن تعذيب لقي . ربح بسجنتك
لي بالدحور . ثم أنت سويين أبى لا تدرك . بسجنتك
أحدا لا يذكره أبى . ملين يدرك . بسجنتك
الحديث عني يعد محرما في منزلها ؟ .. إنها تفنكم جميعا
جواسيس زوجها عليها . أجل ، لست أشك اسم حبيب
كزبائية الجحيم ! .. وأنى أحس في صيتها ، كأي شيء آخر
من أحوالها الآن ، مبلغ ما تعانيه هناك وتشعر به . وأنت
مفلس أبى عالما ما تدور ملقه لا تستقر على حذر من بسجنتك
وسرجس . ليس بعد ذلك دنلا على "يدو" الذي لا يربح
منى أن أعكر صفوه ؟ .. وقد تكلمت عن عقلها المضطرب .
مكث يمكن أن يكون سر ذلك . حتى بسجنتك . وهي بسجنتك
هذه العرلة المروعة ؟ .. ثم ذلك 'المخلوق' الذي يحرق
يرعاهها بدافع من الواجب والإنسانية . من الشبه
والإحسان ! .. أن يوسمه أن يغرس شجرة بلوط في أسد

ربح صغير . يرتفع منها أن تسبح وتفرع . إذ يسبح
يستطيع أن يرد إليها قوامها وصحتها في تربة . حراجه
الصلبة . ولأن . دعت بسجنتك . لا بد حلالا . بسجنتك
استاء عا . وسركسني نسق صرغى إلى كائرس فوق حد
ليتون وحته ؟ .. أم تكونين صديقتي ، كما كنت دى
لأن . مسعل بسجنتك أن يؤديه لى . .. ولكن لمعنى
حسرى حد الحرس على بسجنتك . لى لا أرى بسجنتك
بلى التردد ولنا سو دعيقة احسرى دى . مكث مدرك
الثبث بعنادك وسوء خلقك ! .

حسنا . . لقد ظلت أجادله وأتوسل إليه طويلا ، يا ميسر
لوكوود . ورعيت رمضا عاطف كل ما طلبه منى أكثر من
حسب مرد . . ولكنه أرغمنى أخيرا ، بعد حدال طويل ،
على اتفاق بسجنتك . تتعهد له بأن أحمل خطاب منه إلى بسجنتك .
به دته . في حاله موافقيا . دين أطلع بسجنتك بسجنتك
لمرل . في أول مرة بعثت عنه عيها ، والموعد الذي يستصع
منه الحضور وسحول لست كعبه شاء
عياك . كما أن ملانى لحد بسجنتك الطريق بالمثل . بسجنتك
س . بسجنتك حظ لم صواما ؟ . أعلى بسجنتك . كس بسجنتك
د هذا . وإن كان من دحقة حرى باسمه مقهرا . بسجنتك
بلى بسجنتك لرعائه بها حور دوس امحار الموه . بسجنتك
كما ظننت أن ذلك اللقاء قد يحدث رد فعل طيب في .
كائرين العطف . ولكنى عدت فتذكرت انتصار بسجنتك
الصارم لى ونحقيه إياى من نفس . بسجنتك

ورجت أخاور سيوبن عن نرس الحايك التي نذر على من
جاء هذا الأمر ، بأن أخذت تؤكد لنفسى ، مرة بعد مرة ، أن
هذه الحيازة لثمة سيدى - إذ كان مسلكى يسبحى هذه
السمية القاسية - يسعى حمدا أن يكون الأحمد - وكانت
رحلته العودة إلى بدار أتد منه وحرف من رحله نذهب -
و يدعى بهواجس من كل ناحية عن - اتسبح نفسى - في
أرغمها ، على وضع الرسالة بين يدي مسز لينتون -

« ولكن ها هو ذا كيتيث قد حضر : وسنزل إليه لاجل خبره »

فلسفيتها لأن . وسوف تصبح الفلسفة التي هي فلسفة نوع آخر
وإنما تأليف امرأة عجيبة من الاستيعاب الغريب . كتب
أعور لنفسه . آخر ، أبدا هذه مهلة ، وبطبيعة روحه في
الوقت نفسه ، وليس من النوع الذي كتب عنه بعض
من بني . وليس لأحد من عسوف سحره كتب لبعض
من أعشاب « من دين » الموروثة ! . ولكن على - من سر
شيء - أن أحذر ذلك سحر الذي يمكن في بعض ما نحن
هيتكليف المراقبتين . . فسوف أجد نفسي في ورطة عجيبة
يوصلني على هذه الشدة الحسنة . ثم من راحة نفس
الإسورة طبق الأصل من أمها !

الفصل الخامس عشر

مضى أسبوع آخر . . وازدادت بى الايام اقترابا من الصحة
الكاملة . والربيع لسانه . وقد مرعب من سماع قدسه حارى
كاملة ، فى طبات مختلفة كانت مذبذبة المرل تجلسها بين
مشاغلها العديدة الأخرى . وسوق امضى فى سردها ،
مستحدا كلماتها ذابها . مع قليل من التركيز ، عنها . الى
الرقع قصاصة بارعة ، ولا احسبى قادرا على تحسين
نسلوب . . ثالث :

« في ذلك المساء ، مساء زيارتي » للبرقعسات » كنت
أحس بوجود مسير هينكليف مريما من المنزل . كما لو كنت
أراه بعيني . بحسب الحسوس من الدار . لاسي كبت ما أرى
أحد حضانه في حسي . وكنت راعيه عن سماع المزمع من الوعد
أو التائب . كنت قد قررت ألا أسلم الخطاب حقو . يفادير
مسير المنزل إلى أي مكان . لأنه لم يكن في وسعي أن أحس
بشيء سوى أنه علم كبري . وكانت السجدة لم يصير
شيء إلا بعد بعض ثلاثه ايام كامله . وكان الزمان يوم الأحد .
بعدت أحضرت إلى حذرت بعد أن ذهب اليه له كلبا
الكنيسة ، ولم يبق في الدار — عداي — إلا رجل من الخدم
ترك لي ساعدي في الأعمال المنزله . وكنا عادة بعد إلى اعلاء
أبواب حذرا ساعات القداس ، ولكن يومئذ انتبرت . صه
سبح وروعه . فتركنا مسبوحة حميدا . كم أمي — مع
بوعدي ، إذ كنت أعرف تماما من

قلت لرفيقي إن السيدة تشتهي البرتقال ، وإن عليه أن يسير
إلى اقتربه عدوا لمحضر بعدد منه . على أن تدعوه معه في اليوم
التالي . وما إن غادر البيت حتى صعدت إلى الطابق العلوي .
« كانت مسرلينتون تجلس في فجوة التامذة كالعتاة . وترى
ثوب مصففاً أصفر اللون ، ويعطي كتاباً شبيهة جسيمة .
وكن شعرها العبري الطويل قد سقط مرموتا على .
بداية مرضها ، أما الآن فكان مشطاً في بساطة . وتنتفخ
جسمها في سوجه الطبيعي فوق صدغها وعينيها .
مظهرها قد تبدل تماماً — كما أنبات هيكليها .
تكون هادئة عن هذا التبدل تدنو إليه مسحة من حرارة
لا عهد لديها للشم مثله . . . وكان اسريق المعلق في سبيل
حما ، وبذت مكبة عدومته حذره . ونكر جسدياً له
لا موحيان مانهما سطران إلى الانساء بمطلة من .
داما وكثيها تطلعن إلى ما وراءه . مطلمين لم يحدث
كل شيء ، حتى ليحرق أن يقول فيما يتلوه .
هذا العالم كله . . . أما شحوب وحدها . الذي أحسني مره
ومطره الهجيم منذ أن كسني شيء من بلدته .
اعريب المرتسم في محابها من أثر حديا اعطيه من نايه
كانا ينهان . على نحو الدم ، عن الانسحاب التي أدت انفسه .
معد كانا مريدان من الشعور بالأسى السدي من دمرهما
النفوس . أما أنا فكانت أجد غيبها من واحسب أن أي شخص
ينظر إلي كان يحذر ذلك مطلقاً — ما ينقص أنه لأنه ضاعف به
أخرى على ثقته وترب شغائب ، وأما سمها طبيه لنسحب
الذي قضى عليه بالفناء !

« وكان على الناعده محوارها كتاب مفتوح بحرك انفسها
بجذته نور من آس وآخر . وفي نفس ان لبشون هو الذي
وضعه هناك ، إذ أنها لم يكن تحاول تظ أن يسألني نفس
بالقراءة ، أو تشغل نفسها بأي عمل آخر . وكلم من ساعده
كن يقصها محاولاً أن يسير بسحب إلى سى . مما كان موضع
تسليمها في الماضي . وكنت تعي ما يرمى اليه . عاد كتاب في
حانه خفيه . نائب نحول محاولاته في هدوء وسكينة ، مكتومه
ناظر عيه حروها من بسفت من من ومث وأخر من يهتد
"البحر والسبح" حتى تسهي أخيراً إلى إيقاظ مساعيه بابتسامه
حريه . وقبله حاربه . أما في الحالات الأخرى ، عامها تتحول
نفسه في نور وعناد . ومحمي وجهه من راحته ، أو تدفعه
سب في حلق وعصب . . . مكن عذند بحرص على أن يترك
وحدها . مذكراً من نفس أنه قد أحدث الصواب في مساهمه .

« وكانت اجراس كنيسة (جيهرتون) لا تزال تدق من بعيد ،
كان لحرر الباري لقنواب الودى بحسبه الأمان .
رصة . مكن سلا حمله لذلك لصيف الذي به مشرعه .
معد ، حفيف أور من الشجر في الصيف ، والذي كان يطنني
من موسيقى الفوات عذب بورق الأشجار حول الحراسه
.. وكان حبيب الماء مسمع دنها في المرتفعات ويدرنج .
سكن ليوه ثر انصار المطر طويلاً . أو حرب الشوح لانس
فوق الغلال . وكانت كاثرين تفكر في (مرتفعات ويدرنج .
وعني يصغر إلى ذلك الخريف .
شيء أو تصغي إلى شيء على الأطله .

تلك البطلة الخوفاء بقميصه التي وضعت من عنده . ولم يزل
يكن تعمر عن إدراك شيء من الاشياء المادية سوى عن طريق
السمع أم البصر . . .

« ووضعت الخطاب في رفق في يدها المستقرة على ركبتيها ،
وقلت :

— هذا خطاب لك يا ميسز لينتون . . . ويسمى روبرت . . .
على الفور ، لأنه يتطلب ردا . . . هل انضى أخلاقه ؟

« فلم تعير اتجاها نظراتها ، وقالت في اقتضاب : « نعم . . .
« وفتحت الخطاب ، وكان موجز العبارة ، ثم استغرقت
ثائلة : « اقترئيه الآن ! » .

« غير أنها جذبت يدها بعيدا ، فسقط الخطاب على الأرض
. . . مالتقطة ثالثة ، ووسسه في حجرها . ووعت انتظار حتى
بروق لها ان تنظر إليه ، لكن ترقبى لهذه الحركة طال على غير
حدوى ، حتى اضطورت إلى مناسحة كلامه ثالثة . هـ
ثريدين أن اقراه عليك يا سيديتي ؟ . . . إنه من مستر
هينكليف ! » .

« فأجفلت ، ولاحت في عينيها بارقة من عودة الذاكرة ،
وترعت في مخياها دلائل النصارى في سبل منعه . . .
رغمت الخطاب ، وبدأ عليها أنها تتصفح في إيمان ، حتى إذا
ما بلغت الإضاء ، تأوهت في مرارة . ومع ذلك فقد وجدت
أنها لم تدرك دلالة نهاما ، لأنني عندما رغبت الله في
تسمعي جوابها ، اكتفت بأن أشارت إلى الاسم ، ورا
تدرس في وحي في سبعة حريئة مسائله . . . تحدثت حبيب

إلى من يشرح لها الأمر ، وقلت : « حسنا . . . إنه يود أن
يراك . . . وهو الآن في الحديقة ، ينظف على معارضة الإجابة
التي أحملها إليه . . . » .

« وكنت قد لاحظت أثناء كلامي ان كلبا ضاحكا كان
يجمع بحثا في الحديقة مستلقا في أسرجاء في أشعة الشمس
لبطنه عوى العشب ، لا يحصر . . . على حسب ألسنه عذراء . . . وقد
يبدو ضاحكا ، ولكنه بالثبات أرحاها وهو يعلى . . . بهرمت
فيله ، عن مقدم شخص لا يعده غريبا عن المكان . . . ومالت
مسر لتتولى إلى ألسنه . . . وهي برهف سميع . . . رة . . . حسب
أفعالها . . . وفي اللحظة ألسنه سمعت وقع أقدام بهر . . .
من حزن لمصر . . . من عهد الأبرار ، لم يتركك بدد . . .
لم يستطع مقاومته . . . وأغلب الظن أنه حسبى قد نكثت
بعمدى له ، فحسم على الاعتماد على جرائه ! . . . وكانت
تدريس مملقة لأبصر صاب حجري . . . في ليهف واش . . .
شعر أن يده . . . حسب المذرة الصديقة في ردي
أمر . . . أشارت إلى أن أسبيلة ، ولكنه أهدى ألسنه . . .
أن ألع الباب . . . وفي خطوات وسنه . . . كان يقف إلى جانب
ويضهما إلى صدره في قوة !

« ولقد لبث أكثر من خمس دقائق لا ينطق بكلمة ،
ولا يرحى در عنه عن حسابها . . . وقد راح في حلالها بطرما
بعدد من التلذذ حسب بهر . . . سمع أحد أكثر منه في حده عذ
من عمل وكفى أشهد
ورأت في حلاء أنه لم يستطع حقل النظر أيه ، . . .

الصارخ . كان قد أدرك — كما أدركت أنا — منذ أن وقعت
أنتظاره طيب . به لم يكن فيه أمل في تساقطها . وأنه قد غسى
عليها بالموت ، لا شك في ذلك ولا ريب !

« وكان أول ما نطق به ، هو أن راح يبتف في لوحة دون أن
يجوز جها نسه وأساد » « أواه يا كشي ! .. أواه يا حبيبي »
.. كيف أستطيع احتمال ذلك ؟ .. وكان عندئذ محدق
لنظر إليها في معان شديدة ، بحيث حسنت أن يكون بطلانه
سوف يحلب الماء إلى عيسه .. ولكنهما كسا تقارار بالمعداب
والدم . وقد تحجرت ملا بمداب بالدموع .. عشتد كاشور
كعبها في صبر الممد . وراحت تدب بطرقة . وقد فسد
حاحسها . كان مزاجها أشبه بدوارة لريح ، لاهوائها الدائمة
القلب والتغير .. وما لبثت أن قالت :

— وماذا الآن ؟ .. لقد حطمتها قلبي ، أنت وأجسار ،
يا هتكلب ! .. ثم تاتان كلاك فتاكسان وتفسسار على
معملتكم . كدكك السب اللذان يستحقان الأشد في ولراة
.. ولكن لا أشعو عليك أو ترم لك ! لست أنا التي سعل
ذلك . لقد قتلني ، وأحسبك أفلحت في ذلك . يا لله !
ما أتواك ! .. ترى كم من السنين تنوي أن تعيشها بعد أن
أرحل ؟

« وكان هتكلب يركع على إحدى ركبتيه بجوارها
لستطيع احصاها ، محاور البوص ، ولكننا لمسكت بشعره
وتشئت به لستته في مكانه ، ثم استطردت تقول في مرارة
» شديدا ، أو أنظر ممسكة في حسي فعدت .. في ..



وق حطوات ونابه ، كل يقف إلى جانبها ،
وبعضها إلى صدره في قوة ! ..

شرتها الشاحبة أربعة خطوط زرقاء عميقة ! .. واستطرد
يقول في وحشية :

— هل تملك شيطان حتى تخاطبيني على هذا النحو وانت
مشرقة على الموت ؟ .. وهل قدرت أن كلماتك جيعة سوف
تظهر مطبوعة في داخلي - ولا أحد يحرم منها ويرد - عمق معد
أن تكوي قد تركني ؟ .. إنك لمعلم مدى كدك عندما
تقولين بلى تملك .. وإنك لمعلم .. تكلمين ، أنت مستطعم
أن 'سك' لا 'ما' استطعت أن أفسى كدائي ووجودي .. أملا
يكسب أسنك لحيمة لك منها بعض بالراحة ، والكره ..
سوف أتلو أنا في عذاب الحميم ؟

« فأجابت كاثرين في أنين اليم : « ولكني لن أنعم بالراحة
أو السكينة .. وعدت إلي لشعور بصعديا البدني عندما
أحد تلبس بحمو في عنب - وفي حجاب غير مبسطه كانت ترى
وتسمع .. مع .. من جراء الانفعال الشديد الذي ارتد به ..
.. عكس في التلام لها بفصيص تلك الأزمة : « .. مطرب
تقول في رقة :

— إني لا أضمن لك عذابا أشد مما أقاسيه يا هيثكليف ،
كل ما أسعد عيالا معرق قدا .. ولو دانتك وأكرسه كلمة
من كلماتي فيها بعد ، فأعلم أنني أحس هذا الكرب نفسه في
قدي .. أصعب عن .. من أجل خاطي تعال هذا
وأركب بحليم شدة .. بك أي شيء لا .. حياتك معد .. وأ
أعنت في حبك لمر .. على ذلك سوف يكسب أسه أذكرى لك ،
ما سوف تذكرى كلماتي العنيفة .. هلا أقيت إلى حاسم ؟
تعال .. تعال !

أبالي بها بعينه من ألم .. بل ليست أباي نصف دلائك حميم .
ولماذا برك لا تتعذب ولا تقالم ؟ .. لقد تعذبت إذ ودعت لوان
الألم .. ثم هل تراك تنساني ؟ .. هل سنكون سعد سعد
أكون حب أطباق الثرى ؟ هل مراك تقول بعد سنين عم :
« هذا قبر كاثرين إيرنشو .. لقد أحببتها منذ عهد بعيد ،
وشقيقت يفقدها ، ولكن ذلك قد مضى وانقضى .. فقد أحببت
الكثيرات منذ ذلك الحين ، وأطعالي الآن أحب إلى نفسي مما
كانت هي في يوم من الأيام .. وعندها نحن ساعتر .. على سرس
أنى داهب إليها ، بل سوف يسوؤني أن يصطر "ترككم"
.. هل هذا ما يستقله يا هيثكليف ؟ » .

« فانتزع رأسه من قبضتها في عنف ، وكانت أسنانه
تصطلك وهو يصيح : « برك لا تعدني حتى يسمع الحيوان
حب أمالك ! » .

« كان الاثنان ، ونظر لشاهد لعادي ، مزلزلة و .. مريه
محسنة .. وكان بخلي كثيرين أن يندس "السم" بدمه في
مئلى رهيب لها ، ما لم تخرج عاب .. مع حسد لغبي
نفسها المعنوية أصب .. بعد كان "البارد" بحر
طامعا من الحقد والضغينة في وجنتها الشاحبتين ، وشقيقتها
الباهتتين ، وهينها ليس تتقدان بشرر الانقب .. وكانت
تطرق أدانها على خصله من دأره لني كذب منك ..
أما رمقتها فقد اتك .. بعد نبوصه .. على إحدى .. وأمسك
بذراعيه الأخرى ، طما رفع يده عينا أدركت أن حصله من
الوقفة التي تستلزمها حالتها كانت من الملة بحث كل على

سوف يتبدل عما قريب .. وسوف أكون أنا التي أرى لحالك ..
.. سوف أكون بمدة عنكم أشرف عليكم جميعا من عل ..
واستطرت تحدث نفسها :

— كم أعجب من تباعده ، وإحجابه عن الأسرار ..
أنا التي حسنته يرغب في ذلك ويتبناه ! .. منكسب ..
يا عزيزي .. ما ينبغي لك أن تكون غاضبا عيوسا الآن ..
تمال إلى يا هينكليف !

وفي سره لمحب وشوقها بهضب واقفه .. وهي بسيد الـ
فراع مقعدها .. وإزاء هذه الدعوة الحارة ، استدار نحوها
وقد لاح في أسمره إشارات السأس المرمر .. وكذا عبد الـ
الوسعتن تبدل بالأموع ، وتحدثاها بسور .. وحش ..
ومصره معلو ويبذل في رحياب متباعدة .. وليلها الحارة ..
جسد كل منهما في مكانه .. ولم أر كيف أمرا بعد ذلك ..
وبس كازيد وثبت إلى الزمان .. فلهذا من سر .. والامر ..
في عناق طويل ظننت أن سببتي لن تخلص منه على قيد
الحياة قط .. والواقع أنها بدت في عيني كأنها فقدت الشعور
.. والتي هو بنفسه على أقرب مقعد إليه ، وهو يحملها ..
بذيه ، ولما امتدت من حذو الأمير ان كاسه صفاء ..
كثير عن أساده : رحيبي .. وأشعر المرشد .. كالكلب
المسحور ، وراح بضما إلى صدره في غيرة بشعة .. وله
أشعر بانئي في رفقة مخلوق من البشر مثلي ، وكان من الواضح
أنه لن يفيئني عما حاطته وقلبت .. وهذا ..
وأمكنك تحسني ولدت بالصمت ..

« معاد هينكليف ثائية ، ولكنه وقف خلف مقعدها ،
وانحى موق ظهر المقعد قليلا ، إلى الحد الذي لا يمكنها
سمعه أن ترى وجهه المنتع من التباثر والانفصال ..
وأدارت رأسها إلى الوراء لينظر إليه .. ولكنه لم يكر اسمها
بها بذلك .. فقد تحول بفتة ، وسار نحو الجناة ، حيث وقف
صامتا وقد أدار ظهره فجونا .. وتبعته بذرات مسر ليتنوا
في مرتب وأرباب .. وكانت كل لحظة مسر تدهف فيهم
أحاسيس حديدة .. مله طلال الصمت .. واستطال بذراته ..
استطرت تخاطبني في نبرات ملينة بهرارة الخيبة :

— آه ! .. أرايت يا نللي كيف أنه لا يريد أن يرق لي لحظة
لمحول بنى وبين الفتر ! .. هذا هو مبلغ حسنه لي ! ..
حسنا .. لا بأس .. إن هذا ليس هينكليف الذي أعرفه !
.. ولكن سوف أطل أحب هينكليف الذي أعرفه .. وسوف
أأخذه معي فإنه قطعة من روحي !

« ثم أضالفت كأنها تفكر بصوت مسموع :

ثم إن أشد ما يصابقني الآن هو هذا السحر المحطم —
جسدي — الذي أميش فيه . لقد تعبت من طول احتباسي
هنا .. وأود بصبر باند أن أحر الي ذلك العالم المجد ، وأن
أطل هياك أند ، على مقعد علم البشر أنه من في ثلاثة من
الدموع ، ولحنين إليه من خلال حذران قلب محسب .. وانما
أمتى فيه وأميش معه حقا ! .. ولعلك يا نللي تخالين أنك
أفضل مني وأسعد حظا ، لأنك في عسوان قوتك وكامل صحتك !
ولعلك تأسقين من أجلى وترئين لحالي ! .. ولكن كل شيء

وبلثت ان سكرى حذنى قليلا عندها ريب كبير يسر
بها حركة صغرى .. فقد رعبت بها تحذب .. حقه ..
وتلصق حدها بحده وهو يحتسبها .. سب .. بدورة
سحرها بقلبات خنوسة ، وهو يقول فى سروده :

— لقد علمنى الآن كيف كتب قاسية بسى .. و ..
ويناقة ! .. فلماذا احتقرتنى ؟ لماذا خدعت قلبك وغدرت
به ؟ .. إنك لن تسبى منى كلمة واحدة تسرى عنك ، فلو
تستحقين ذلك .. أنت التى قتلت نفسك .. أهل .. لك
ان يغلبى ، وان يدركى ، شدة من .. و ..
سعى من الصلاب والعبرات .. مهب سوف تلعب سره
.. وسوف تلعبك بكل قطرة فيها ! .. لقد كنت تحببتى ..
مدى حتى ، إن .. هجرتنى ؟ .. سى حتى تحلب غنى من
أجل وهم تائه شعرت به نحو لبتون ؟ .. فلا الشقاء
أو الهوان أو الموت ، ولا أى شيء مما يمكن أن يسفاه الله
أو لشيطان ، كيف لتستطيع أن تدرك سب .. ر ..
ما تعجز عنه كل هذه القوى ، وتعلمه بلاء .. لى ..
أحطم قلبك . أنت التى حلمته بيدك .. وعندها حلمته ،
حطمت قلبى معه ! .. إنك تريننى قويا متين الأسر ، ولكن
ذلك لتعس حظى .. فهل تظنننى أتمنى الحياة طويلا ؟ ..
وأى نوع من العيش ذلك الذى يمكن أن أحده .. أنت ..
آه ! يا الهى ! .. أترك أنت تمنين العيش بيننا وروحك فى
قبر من القبور ؟

مشقت كآثرين بدموعها ، وبأسفها . وفانت :

— دعنى وحدى .. دعنى وحدى .. إذا كنت قد أخطأت ،
فهأنذا أكثر عن خطئى بالموت . وهذا فوق ما يكتيك ! ..
لقد هجرتنى ، أنت أيضا .. ولكنى لن أعاتبك أو أعنف
عليك .. إننى أصفح عنك .. فأصفح عنى !

— ما أصعب الصبح .. ع .. إلى هسى العيش .. وأتحسب
هسين الذين النحلتن ! .. ملبى سبه ، ولكن لا بدعنى
أرى عيشك ! .. لقد عسرت لك كل ما معلمه سى .. ماسى
أحب سسى .. ولكن فاكك ست ! .. كيف يمكن أن أحبه ؟
وساد لصمت بينها . واحتفى وجه كل منهما فى وجه
الأخر ، وغسلت دموع كل منهما وجه صاحبه .. وأغلب
الظل أن لكاء كى مبدلا بينها .. ماب هنكلهم ماب حليفا
بان ييكى فى مناسبة عظيمة كهذه ..

وبدأ تعلق يسرب إلى نفسى ، كلما مضى الوقت .. فقد
كان الصبر من سرى ، كما عاد الرجل الذى كتب قد بعث
به إلى الغربة . من مهنة . ومذات أمير من بعد ، فى أشعه
الشمس باحبه العرب عوفى الودى . حباغب من الناس
تتكاثر وتكاثف عند باب كنيسة (جبرتون) ، فقلت :

— لقد انتهى القداس ، وسوف يكون سيدي هنا بعدد
نصف ساعة ..

فزجر هنكلت باللعات والسباب ، وشدد من عناقته
لكثرين . وكبها لم يدرك عد .. وله نفس هسهه . حين
رأته حبا من الحدم بصارون الطريق نحو لدواح الذى
يقع فيه الملمخ .. ولم يكن مستقر لسيدي بعد .. كبرا

وهو يسير خلفهم .. وفنح بتسبه البوابة الكبيرة ، وأضد
يسير في بطة واسترخاء قادما نحو المنزل . ولعله كن
يستمتع بهواء العصر الجميل الذي كان يتفرق كسحاب
الصيف ..

عندئذ هممت قائلة :

— ها هو ذا قد حضر .. فأسرع بالانصراف حتى .. جاء ..
إنك لن تجد أحدا على الدرج الأمامي .. سير بالخروج ..
واختف برهة بين الأشجار ريثما يدخل المنزل . حس لا تراك ..
فقال هينكليف وهو يحاول الخلاص من سن دراعي رفيقه :
— لا بد لي من الذهاب الآن يا كاثي .. ولكن إذا قدر من
أن أعيش عسوف أراك ثانية قبل أن يحس موعد موتك ..
لن أذهب إلى أبعد من خمس مارات من بُعد جحرتك ..
فقدشئت به بقدر ما سمحت لها مواه الحرة ، وهي
تحسه

— كلا .. لا ينبغي أن تذهب .. ولن تذهب ..

فتوسل إليها في قلق :

— ساعة واحدة فقط !

— ولا دقيقة واحدة !

فأرداد الدخيل القلق إلحاحا ، وقال :

— بل لا بد لي من الذهاب .. سوف يأتي لمنتون إلى هنا

حالا ..

ولقد كان يوسعه أن يهبط ، وبذلك يتخلص من تمضيه
أصابعها . ولكن أردادت به بعلقا وأردادت أصابعه به تشبعا .
وقد لاح في أسرارها عزم رهيب حيوئي ، ثم صرحت قائلة :

— كلا .. لا تذهب .. لا تذهب ! .. إني ! مرد لاسم ..
.. ولن يقتلنا أبحار .. هينكليف .. إني سوف موت
.. سوف أموت ..

فصاح هينكليف ، وهو يفوض في مقدمه :

— يا لك من حياء ! .. ها هو ذا .. صه يا ديسبي .
استكني باكثير ! .. سوف أنفي .. وإذا أطلق عم الرصاص
وأنا جالس في مكاني ، للفتلت أتقاسي الأخيرة ، وشكيت
تباركاته !

وعادا إلى عناقتهما من حديد .. وسلمت ونم خطوات
سيدي فوق الدرج . غصبت العرق البارد من جسدي .
واستبد بي الفزع ، وقلت لهينكليف ضارعة :

— هل تنوي أن تصفي إلى هذيانها ؟ .. إنها لا تعرف
ما تقول .. ميل تدمرها وتقضي عليها ، لأنها لم بعد لديها من
العقل ما تحصى به نفسها لا .. انهض .. مما رالت في الوقت
فسحة لحلاصك .. إن هذا شر عمل شيطاني أركنته في
حياتك قط .. لقد قصي عليها جمعا .. السيد ، والسيدة ،
والخادمة !

وكنتم أعصر يدي ، وانثج بالنكاء .. وسمع مستر لينتون
تلك الضحكة ، فأسرع الحظي .. وفي عمره اضطراب والفعالي ،
سررت إذ رأت دراعي كاثرين نهائيا وبان مسرحتين بجانبها ،
ورأسها يميل إلى الأمام .. فظلت لنفسي :

— لقد أغنى عليها ، أو مائت ! .. وذلك أمضيل كثيرا ..
ولكن الأفضل منه أن تكون قد ماتت ، سير لا ديسبي موتة سيئا
على من يحبطون بها ، مجلة للشقاء عود :

الفصل السادس عشر

حوالى منتصف تلك الليلة ولدت كاثرين التي رايتها في (مرئعات ويذريج) .. ولدت هريئة صامدة في الشهر سبعة من جمها .. وبعد مولدها بساعتين ، لمظلت الام ترضعها .. ماتت دون ان تسترد من الوعي ما يكفى لان تفقد هتكيف .. او تشعر بوجود اذجار .. وكان حزن هذا الاخير لما اصابه من النكس ، امرأ يجل عن الوصف ، وتالم النفس للحديث عنه .. كما اظهرت آثاره بعد ذلك مدى عمقه في نفسه .. وفي رايي ان ما زاد من غداحة المصائب لديه ، انه مرت بعرق عقب من الذكور .. وكان قلبي يعصر حسرة والم لذلك .. وبما ان السببه لضعفه ، عرجت مدى بالانهماء في مدى .. على لسبون لعجور الذي اوصى بان تسفل اهللكه .. إذ عرفت مثل هذه الحالة ، إلى ابنته بدلا من حميده .. وهكذا جاءت الطفلة المسكينه ، فلم تلق من احد نرحبا .. ولم يتس مولدها انسان .. علو لها ماتت في تلك الساعات الأولى لها في الوجود .. ما اكررت لذلك أحد قط .. وقد عوضنا هذا الإهمال عينا بعد ، ولكن المكودة استلقت وجودها بغير صديق ، مظلما يخشى أن تختتمه !

ونصل ضوء الصباح - الذي كان مشرقا بهيجا خارج النافذة - من ثبات مصاربع مواعد .. جرحا عميقا .. على الفراش وشاغلفه وحما رقفا سما .. وكان اذجار يتقون

وايمض اذجار على ضيفه المتطفل ، وعند امتنع وجهه دهشه وعجب .. وسب ادرى ما الذي كان سرى .. سعه .. مقد وسبع الاخر حدا لكر ما كان يمكن حسونه .. من وضع من يديه ذلك لجسد لسحر لدى مسو حلو من الحياة ، قائلا :

- انظر إليها .. وإذا لم تكن شيطانا أو عدوا لدودا ، مسسبها ولا .. ثم قل لي بعد ذلك كل ما سب .. واسرع بفادر المكس .. وحل في حذر الطوس .. وذري مستر لسبون ، مرحبا بديل الجود المد منه .. وسب شري ابوسان .. بعددها إلى مصوب .. حسي حجب في بهب احرا .. ولكنها كانت داهله اللب .. كانت من وشوه .. ولكب لم يعرف احدا .. وسى دجار .. في عمره طفله غلب .. حديدتها المصعب .. ما أنا علم انس .. ماثيرت اول نرحبه سبب لي .. ومصبت إليه مرحوبة أن يعرف .. وكده .. كاثرين احسن حالا .. وابه سوب يسبع من في الحماح كم قضت ليلتها .. فقال :

- إنني لن امتنع عن مغادرة الدار .. ولكن سوف أبقى في الحديقة .. وأرجوك يا نللى أن تبرى بوعذك غدا .. وسوف تجدينني تحت أشجار الحور .. فإذا لم تفعلوا سوف أقوم بزيارة أخرى سواء اكلت ليلتون هنا أم لم يكن !

والتى نظرة سريعة نحو باب الحذر .. سرح .. د اسبون من أن ما ذكره له كان يبدو صحيحا .. تادر المرل في حظوت سريعة ، واخلاء من محضه المنكود ..

يصنع رأسه على الوسادة . مطلق لعنتين . ومحباه لنفسه
البياض يبدو - في شحوب الموت الذي يغمره - شبه الوجه
الساخى إلى حواراه ، وقد تهاثلاً مكوب وجيد . . ولكن
أسايره كانت تطلق في جهودها بالآلام المحسوسة . تترى حس كأن
وجه الراحلة بمص سلافا ودعة . كان حبسها ماعدا وصدا . .
وأحفاؤها مطلقا ، وشيعتها تفرحان في انتباهه هادئة . .
وما أحسب أن أبا من ملائكة السماء كان يمكن أن يبدو أومر
منها حبسالا . . وقالني نفس من ذلك المسكون مطلق الذي
يحيط بها في رقدها ، مها أحسبت قط من عظمي عاشى في
إطار أشد فداسه . . كان عليه عندها ربح تدن تلك الصورة
الصامسة من الراحلة الإلهية . . ورحلت رجع في سدى . عن
غير قصد ، صدى الكلمات التي مطلق بها منذ ساعات قلام .
قلت : « إنني بعدة عنا تشرف علينا جميعا من عز . . وسوا
أكانت لا تزال على الأرض ، أم أنها الآن في السماء . فإن روحها
قد رجعت إلى مستقرها ومثاها عند خالقها » .

ولست أعرف إن كانت تلك صفة خصصت لها ، ولكن
الواقع أنني قلنا أحسن شيئا عن السعادة عند أقوم وحدي
بالحراسة في حجرة برفرف علما الموت ، ما لم يقاسمى هذا
الواحد شخص خرج به الحرز عن صوابه أو ملئ قلبه بأسا
.. فأتى أرى راحة وطمانينة لا يستطيع الأرض ولا لأحبيه أن
تحطمهما ، وأحسن باليقين في عالم يبنى بعد ذلك . لا نهاية له
ولا ظلمات فيه . . تلك الأيدي التي تلحون أنوارها . حيث
لا تنقيد الحياة محدود في مدتها ومداها ، ولا الحد في حيلته

وروعته ، ولا السرور في غفواه ووقرته . . وقد تبينت في
نلك أئسسه مسع 'مرد' والاسه في حب مثل حب ميسر
لسون ، عندها يحزن على خلاص كاثرين السعيد . . ومن
لحق أن المرء قد يشك أحيانا ، بعد تلك الحياة المليئة بالعتاد
والمشكلة واليهور التي كانت يحاها . عما إذا كانت تستحق
أن يفسد أحبا إلى قرب سلام والطمانينة . . إن المرء قد
يشك في ذلك في سويسرا لتلك الهدوء المجرود من العاطفة ،
لا في ذلك بوقت . أمام جمالها . . من السكينة التي كانت
تزين على ذلك الحضانة المسيحية ، بدت كأنها تعصم سكينة
مستلثة للروح التي كانت تسكنه !

« ترى هل تعتقد يا سيدي أن مثل هؤلاء الناس يلتقون
السعادة في عالم الآخر ؟ . إنني أعدل الكسر في سبيل مسرفة
ذلك . . »

ولكنني تنكبت الإجابة على سؤال مسز دين ، الذي أدهشني
ومسد كشيء أدنى إلى الضلالة . . ما سطررت تقول :

« إننا لو اقتفينا سبيل كاثرين بسون ، لما حق لنا أن نطنها
سعدة . . ولكننا سوف ندعها لخالقها . . كان المرء يبدو
ثائما ، فجازفت بمقدرة الحجرة بعد شروق الشمس مباشرة ،
وتسألت إلى حيث البسواء النقى المعش خارج الدار . .
وحسبني لحدته قد حرحت لأنفس على العباس بعد حرارتي
الطوبية . ولكنني في الحقيقة لم حرحت لأرى ميسر هتكليف
.. فلو أنه مكث من أشجار الجوز الليل طوله ، لما سمع شيئا
من الحيلة التي قامت في الحرائير » . .

سمع وقع حوامر جواد الرسول الذي سجد به إبراهيم ، خبيرتوني .. ولو أنه اقترب من الدار ، لأدركت من الأسوء المسئلة هذه . وهناك ، والأبواب الخاريجة وهي ستج وتعلق .. لا يمر لم يكن على ما يرام في الداخل . وكنت أود أن أحده . ومع ذلك كنت أخشى هذا اللقاء .. كنت أحس شئنا لاسا لى يحب أن يسها إليه ، وتهنت أن ينتهى ذلك الموقف بدم .. ولكنى لم أكن أعرف كيف أقولها له ! .. ووحدته هناك . على فسد خطوات من السستان ، مستندا إلى شجرة سبعة . عثرى الرأس ، ملبد الشعر بالندى لدى جمع على العدم من الموت . حديثا ، والذي كانت قطراته تتساقط حوله .. وكان على قضى فترة طويلة في وقفته هذه . لاسى رأيت طيرين يذهبن ويعودان ، وليس بينهما وبينه إلا زهاء ثلاثة أعظام . وقد انهكما في ساء عشهما ، ولا يران في قربة منهما إلا ما يران في كتله من الحشب ، على حس لاسيا هارس على قتراسى ..

ورفع ميني نحرى ، وقال :

— لقد ماتت ! .. ولم أكن بحاجة إلى أسبارك لأعرب ذلك .. صمعى بتديك هذا حسد . ولا تدعى بموعك ومحافظ سبيلان أبابى ! .. لعنه الله عليكم جميعا .. إيهب لست في حاجة إلى شيء من بموعكم !

كنت أبكى رثاء لحاله بمثل ما كنت أبكى عليها .. فاسيا أحدايا نشفق على مخلوقات تحردت من مثل هذا الشعور سوءا بالنسبة للناس أو لأنفسها .. وعندما وقعت أنظارى على وجهه للمرة الأولى أدركت أنه علم بالكارثة .. وطرات لى فكرة



ووجدته هناك . رأى من خطوات من .. حسد ..
إلى شجرة سبعة عثرى الرأس ، ملبد

سخرية ، هي أن قلبه قد غشيت له سكرية روح مصلية .
كانت سمته تتحرك في قمتيه صممه ، وقد دءر -
كانها ركعت أنظاره على الأرض .. غفلت وقد كبت شعبي
وجفت عبراتي :

— أجل .. لقد ماتت .. وأرجو أن تكون قد ذهبت إلى
السماء ، حيث يمكن أن نلحق بها ، كل واحد منا ، لو أصيب
إلى صوت الذئير ، وتركنا سبل الشئ لسلك سمر الحبر .

فما لي هينك في شبيهه السخرية :

— وهل أصفت هي إثر إلى صوت الذئير ؟ .. ثم ،
أشبهه بقديسه ؟ .. هيا .. قصي على كل ما حدث ، في صبر
ودقة .. كيف لقيت ..

كان بهم بأن ينطلق باسمها ، ولكنه لم يستطيع الاستمرار
وكان وهو مضطرب على شعبيته كأنها مصراع ، في دهر ..
المكثور ، متحديا — في الوقت نفسه — إشماسي عليه .
له نظرات نارية صاربه ، وعين لا تطرب .. وأحد ..
برغم صلاته ، إلى البحث عن مكان حله ، إذ لم يكن ذلك
بهزيمته وأخذت الرعدة تدق في بدنه حتى أحسب فيه
الرقم منه .. ثم تابع القول :

— كيف لقيت نهايتها ؟

نقلت في نفسي : أيها النعمس المسكين ! .. نلت عذ
وأعصابا مثل ما لأخوانك من منى البشر .. غلها قلبك
إخفاها ؟ .. إن كبريتك لن تخفى على الله ! ..

شعبي إلى ر بطر يصير قلبك وأعصابك . حتى تنزع منك
عبرات الهوان والمذلة ! »

ثم أجبت بصوت عال :

— في مدوء الحمل الوديع .. تهدت ثم بسطت جسمها ،
ببطر يحبو من يومه ، ثم يعود إلى الاستعراق عسبه
منه .. وبعد خمس دقائق أحسست قلبها يحرق حرقه
واحدة ، ثم يسكن إلى الأبد !

فما لي سروردا . كأنها بحثت أن تسمع إجابتي أشبه
لا يطيق سماعها :

— هل .. هل لم تذكر اسمي قط ؟

— إنها لم تسمع حواسها ، ولم تعرف أحدا ، منذ أن
درستها .. هي ترعد الآن وعلى وجهها انفسامة حلوة ، كأنها
كنت حواسم الأحرار نسرح في أنهارها النهمجة الأولى .. لقد
حببت حبس في حلم رقيق ، وأدعو الله أن تقوى من الموت
بمثل هذه الدعة في العالم الآخر ..

مصابح في ميعال مروع ، وهو يصرب الأرض بقدمه ، ويرمحر
في بوة مباحته من العاطفة الجاهحة :

— بل فلنقم في مذاب الجحيم ! .. لماذا ؟ .. لقد كانت
كذبة حتى النهاية .. أس هي ؟ .. إنها ليست هناك في المنزل
.. وليست في السماء .. ولم يشملها الغناء .. فأين هي ؟
أود ما كاثربس . لقد قلت إنك لا تالبن بالاسم جدهم . رأ أدعو

به دعاء واحدا - ساطل أرده حتى يحب لسانى - ملا عذب
الراحة والسلام ، يا كثيرين أيرنشو ، ما دمت حي .. وقد
فلت إيسى قتلتك .. ملتارمى روحك إيس ليتص مصحعى ..
أن روح المتول لا تنبأ تصوم حول قاتله ، كب اعتقد ..
والأشباه قد رؤيت تحوب الأرض ، مما أعلم .. مكوى منى
دائما ، على أية صورة تتراءى فيها .. وادعى منى إلى
الحنون ! .. ولكن لا تركبى فى هذه البايوه ، حيث لا استبد
أن أجذك معى .. آه ! .. ما الهى ! .. هذا شيء ينصر عنه
البطق ! .. إبنى لا استطيع العيش معر حياتى .. ولا استنضم
الحياة بغير روحى ..

ثم أحد يصرب رأسه بحدع الشجرة الحنن ، ثم يرمع
عينيه ويطلق عواء لا يشبه أصوات البشر فى شيء .. إنما هو
أشبه عواء وحش كاسر يتوشى إليه الموت تحت طعنات المدى
والحراب .. ولاحظت رشاشا من الدماء على لحاء الشجرة ،
كذلك كن حينه ويده ملوثة بالدم .. والراح أن المنظر
الذى شهدته لم يكن إلا تكررا لما كان بحرى خلال سن ..
ولكنه لم يثر فى نفسى رجة أو شفقة .. وإنما كان يصغر
ويروعنى .. وبرغم ذلك فقد اتفمت أن أتركه على هذه الحال ..
ولكنه فى اللحظة التى استرد فيها من الوعى ما يكفى لأن يدرك
أننى أراقبه ، صاح منى فى صوت كقصف الرعد ، ثم رى
بالإصراف .. ولقد أطلعت على العور .. إذ كان من نجر عنه
قد رتبى أن أهدي روعه أو أصرى عنه ..

وحدد موعد خنارة مسز لينتون فى يوم الجمعة البالى لوفاتنا

.. وظل بعثها ، حتى ذلك الموعد .. مكشوما وقد نثرت عوقه
الرهور وأوراق الأشجار العطرية ، فى حجرة الاستقبال
الكبرى .. وكان لينتون يقضى الأيام والليالى بجواره ، حارسا
لا يعمل ولا ينام .. أما الشيء الذى حمى عن الجميع ، ما عدى
ميو أن هينكليف كن يقضى الليالى ، على الأقل ، فى الحديقة
وقد حرم من الراحة كاندجار .. ولم أكن على أى اتصال به ..
ومع ذلك كتب أدرك رعبه وعزمه على الدخول .. إذا تهب
له الفرصة المواتية .. مع أن حل مساء الثلاثاء .. وأسد
الظلام بيوره .. ومطر سيدي لفرط رعبه أن يأتى يس
فرائه نحو ساعتين .. حتى مضت مضت إحدى النواهد ،
وقد تأثرت من مثابه على اللقاء فى الحديقة ، لاهى له فرصة
يلقى ميبا على وجهه معبودته لشاحب بطرة وداع احمر ..
ولم يغفل امتهار هذه الفرصة ، فى حذر ولعنة قصيره .. بل
لقد كان من الحذر فى دخوله ، دون أى صوت أو حيلة ..
بخت ما كنت لأكتشف حصوره ، لولا أن وجدت الغطاء تد
أختل مظلمه حول وجه الحنة ، وأن لاحظت على الأرض بحوار
الغرائش حصة من الشعر الذهبى قد حربت محيط من الفصه ..
ما كنت أفحصها حتى أدركت أنه أحدها من بوط كن معلما
حول رقبة كاثرين .. كان هينكليف قد متح المسالده وانقى
محتوياتها على الأرض ، ووضع بدلها حصة من شعره الاسود
.. ولكنى حرمت الاثنيتين معا ووضعتهم فى القلادة سودا

وقد دعى مستر هندلى أيرنشو لشئيه حشا .. ثم
إلى مقرها الأخرى ، ولكنه لم يحضر ولم يرسل اعصارا ! !

وهكذا كانت الجنازة قاصرة ، فيها عدا زوجها ، على المستأجرين والخدم محسوب .. أما ايرابيللا فلم يدعها أحد ..

وليد دهش القرويون إذ رأوا أن كثرت لهم تدن في صحن الكنيسة تحت النصب بقووش بحاص دار لمتيز ، ولاش مقابر أهلها حارجه .. وإنما تنس حثامات في قبر مفرد . على سفوح تل منحدر بغطيه العشب لأحضر ، في ركن قصي من .. الكنيسة ، بجوار الممر الذي كان محمضا في ذلك الموضع بحيث رجعت على لمر الأعشاب المنسقة ومات التوت البري المهترء من منطعه الأحرار والبراري ، حتى كادت تعطيه نهاما ..

وفي البقعة نفسها يرتد زوجها ^{٢١} ، وعلى مرمى عينه شاهد بسيط . وقد أقبلت عند أقدامها كتلة صلب ، من بحر الأسمر لتمييز موضع القبرين .

الفصل السابع عشر

كان يوم الجمعة المشؤوم - يوم وسدنا كاثرين الثرى - حر عيبد بالطقس الحميم ، طيله شير كامل .. تبنى مساء ذلك اليوم اميلب لحوضته ، وهبت ارباح من الجنوب نحو الشمال الشرقي ، فحدث ترحي حملها من المطر العرير بادي ، ذي بدء . ثم قطع لبرد لصلبه ، واحرا رقيق الثلج الهشة الماسعة الساص .. حتى إذا أصبحت في السداء ، كان من لعسر ن يحور إسان اما عسب ثلاثة اسبع في حوضه ساه لعيت .. بعد اخمص الأماخي ولرهور التربة محب ركاه الطلوع المسممة . وسكنت لصابر عن شذوهِ الصداح . ودلب أوراق النسر الوليدة وأسود لوبها . وهكذا طلع علينا ذلك الصباح باردا ، موحشا ، كئيبا ..

كان سبدي مسكنا في حجرته ، أما اما عقد احتلت حجره حلوس الوحده ، وجولها إلى دار اللحنائه ! .. وكنت حائسه عبا ، وعموي ركنتي تلك الطيله الشبيهة بدهسه صغيرة لا تكب عن الأس ، وقد احبب أعدهدها وأهدها سمه ويسره . وأرتب سن العنة والدسة رقيق اللهب التي كانت لما تزل تنهمر فوق الفريز النافذة المجردة من الستائر ، وترتفع فوقه طبقة بعد طبقة ، عندما فتح الباب ، ودخل شخص من مبهور الأنفاس ، يضحك بصوت عال ! .. وقد طغى سخط وغضبى على دهشنى لحظة قصيرة ، بحسب بعد ، لحظة من الخدم ، وصحت بها منتهرة :

— حسبك وكفى ! .. كيف مجرّوس نثر حبر طيشك
ومحوكك هنا ؟ .. ماذا يقول مستر لينتون ؟ ..

فأجابني صوت بالوف :

— أرجو المعذرة ! .. ولكنى أعلم أن أذجار في فراشه
الآن ، كما غلبنى الضحك ولم أستطع إقامته ..

وإذ نصبت المتحدثه بيده لعمارة ، سددت بحر المدفأة ،
وهي تلهت بأفهامها وعد وضمت يدها على حبيبها ..
وما لبثت أن استطردت بعد صمت قصير :

— لقد ظلمت أحرى طول الطريق من
إلى حيث كنت لب
وسمعى أن أحصى عدد الزرات التى وقعت فيها
أن كل ما فى
سوف أشرح لك كل
على الكلام
لتفلى إلى حبرتون
بعض الثياب لى من خزانة ملابسى ..

كانت ابداً
أيزابلا ،
الضحك
لؤلؤ ، ويقطر منه الماء
المعصب التى اعتادت لبسها ، بلاه لبسها كك مما يليق

بمركزها
رأس أو مبع وشحا حول عتقا
الصقه ظل بحسبها
سوى نعل خفيف مبعوح
تحت أدبا جرح سبر لم يحل دون سرف بدده به بعراره
سوى الرد القرسى ، كما كان وجهها سامع لنياس ملند ،
بالكدمات لموشى ، وحسبها سحر لا ساء يقوى على
التياسك من الأسا
مرعى الذى
ومعت بطارى عينا حسي استطعت من مدح
فصحت بها قائلة :

— أسا بسندة اعمررد
أسمع منك كبره وحده أحرى ، حتى نرى كل قطعة من
تدك
بدهى لبله إلى حبرتون وألف فى هذه الحالة ، فلا داعى
إلى لإعداد المركبة ..

— بل سوف أذهب حتيا ، سواء ركبت أم مشيت ! ..
ولكن لا سبر من لى سديل ملابسى والطهور بالظهور
اللائق
الآن !

وأصرت على أن أنفذ أوامرها قبل أن تسمح لى بأن
السها بيدي

المركبة . وإحدى الوصيفات بإحصار رصعة من الثياب واللؤلؤ .
الأخرى ، وعندئذ مقط رصيت من أقوم تصيد حرجها .
ومساعدتها في استبدال ملابسها . .

وعندما فرغت من مهمتي ، اتخذت مجلسها على مقعد
بريح بحاسب الموقد ، وأمامي فدح من الشاي الساخن . ثم
بدأت تقول :

— تعالى الآن يا ايلين ، واجلسي أمامي . . لكن أبعدى
أولا بنت كاترين المسكنة . فليست حب - راحة .
ولا تسعى أن يحسبني قليلة الاكراهات موب كشر من سبب
مستبكي الأحق عند دخولي . . عند مكتب . أما الأمر . . .
شديد ، وكان لدى من أسماها الديك ، أكثر من الذي
إنسان غيري . إذ اغترفا بحاجتهم . كما يدرك . .
أعمر لنفسه ذلك قص . . ولكني نرحم ذلك . كنت عالم مستظرف .
أحزانه ، ذلك الوحش المعرس . . أه ! . . ما أولئى من
النار ! . . هذا آخر شيء اقتنيته ، مما يمت إليه بصلة .

ثم نزعنا خام الزواج الذهبي من أصبعنا الثالث ولفنا
به على الأرض ، وراحت تدق عليه بالحر ك الحديد . مسحة
الحديث :

— سوف أحطمه ، ثم أرمي به إلى النار . .

وشنعت القول بالفعل ، إذ تناولت الطوبة المشووعة
ووصفتها من قطع المحم المتوهجة . واستطردت تقول :

— والآن . . عليه أن يشتري خاتما آخر ، إذا استطاع أن
يدركني ويعتدي إليه ثانية ' . . وهو حقيق بأن يحبر
لسخنني من هنا ، لا شيء سوى إعطاه ادجار والسل منه . .
لذلك لا أخرج على البقاء ، حتى لا تتهلك هذه الفكرة رأسه
لشرب . . ثم أن ادجار لم يكن من شموقة رحبها ، الخس
كذلك ! . . وبنت مالتى تنهت على طلب معونة ، ولا مالتى
تجيب عنه لمزد من المناع . . وقد ألدني لضرورة إلى
أن أشد لأوى هـ ، ولكني لو لم أعلم أنه بعد عن طريقي .
للثب في المصح رشفه أغسل وجهي . واستدب . قلبه .
وأدوت لتعدي لي ما أحتاج إليه ، ثم لرحلت ثانية إلى أنه
منعه في الأسر بعدا عن تناول ذلك اللعس . . ذلك الشمسين
المجسد في شئ إنسان ! . . أه ! . . لقد كن في ثورة مصيب
حيوني . . ولو أنه أدركني وأمسك بي ! . . من المؤسف
هذه ليس قربنا له في القوة والناس . . ولو لا ذلك لما
رحلت من أن . . ه يحيى من الوحود ، لو أن هديني كل تادرا
على ذلك . .

مقابلتها قلله :

— حسنا . . مهلا يا أنسة ، ولا تنطلق في الكلام بهذه
السعة . . فسوف يفسد وضع المدير الذي ربطته حول
وحيك . وتحملين لخرج مني من حديد . . هـا اشربي
الشاي . والتقطي أسسك الملاحقه . وحطى عنك عدا
الضحك . . فالضحك الآن لا ينبغي في ' الملب ' الملب .
ولا تحالتي المؤسسة ' .

— هذه حقيقة غير منكورة يا ايلس ! .. ولكن أوصيكي
هذه الطفلة .. إنها لا تكف عن اللواح مد تسومي .. عديدي
عن مسامي ساعة أو بعض الساعة .. لكن لمكف ب ذولا .

فقرعت الجرس ، وعهدت بالوليدة إلى عناية إحدى الخاديات
.. ثم مضيت أسألها عما دُعيت إليها إلى استنزل بالمر .. من
« مرتفعات ويفرنج » ، في مثل هذه الحالة العربية ، وإلى
أين تزعج الذهاب ، ما دامت تأتي البقاء معنا .. صاحب .

— كان ينبغي ، بل لقد كنت أود ، أن أبقى لأمرى عن أحوال
واقوم على رعايته الصلبة بكرة . . لهذين السبيين ولأن
« الحراج » هو يبيى الطيبي نحو .. ولكني أؤكد لك أنه
لن يدعى وشي .. أتخسسه تطبيق رؤيتي هذا باسمه الذي ..
تكتسي عطامي الناحلة باللعن ، أو بطيبي محارب « المنكر في
أمننا نعيش هنا في هدوء وهناء ، ثم لا يصح على أن نبت
سمة مبقضي به على رجب وسلايم ؟ .. إني لا ربه
بطمينة إذ نحقق من كراعته لي إلى الحد الذي يسووه
فيه حقا أن نحدي على مدى السمع أو مرمى البصر ..
كنت الاحظ عندما أمثل في حصرتة كيف تنقلص عضلات وجهه .
في حركات لا إرادة ، معبرة عما يصمره لي من حقد ، وما يكره
لي من مضاء ، ينتعش بعضها من علمه بالأسباب لقوبه لي
تدفعني إلى الإحساس بمثل هذه البغضاء نحوه ، وببشء باقيا
من نفوره الأصل مئى .. وهذه البغضاء قد أصبحت من نفوره
بحيث تجعلني أشعر عن يقين بأنه لن يسعى ورائي أو يطاردني
في أرجاء إنجلترا كلها ، إذا ما دبر قرارا نهائيا . ولذلك

بحب أن ذهب إلى مكان بعيد .. ولقد شعيت تماما من تصفي
السابق به .. ورغيتي المأمومة في أن ألقى مصرعي على ربه ..
بل شدد ما أود الآن أن يقتل نفسه بيده ! .. لقد قضى على
حسني له .. وأطعأ شعيلته المبقدة ، بحيث هذا دالي و سترحت ! ..
ومع ذلك عما رلت أذكر كيف أحسبه ، وما رلت أصور كيف
كان يمكن أن أقيم على حبه لو .. لا .. لا .. فحتى لو كان
بهم من حسا ، من طبعته الشيطانية كاتب حليفه من
تكتف عن وجودها على صورة ما .. ولا بد أن كثر من كاتب
داب ذوق محارب إلى حد شيع حتى يطلو لي له على كل
عد القدر من تقدير والإعزاز ، رغم علمها حق العلم بطبعه ..
باللوحش ' .. أرحو أن يحو الله ذكراه من الرخود ، ومن
ذاكرتي !

نقلت :

— صه ! .. صه ! .. إنه إنسان على أية حال .. الاكوني
أكر البصاء وإحسانا ، عنباك رجال أسوأ منه بكثير مرع
كل شيء ..

مرت على قائلة :

— ولكنه ليس إنسانا على الإطلاق ، ولا حق له في شعفي
وحسائي .. لقد وجهه قلبي ، أعاده وظل مسخرة وجميعه
حتى قضى عليه ، ثم ألقاه إلى ثمانية جثة هامده ' .. أن الناس
بحون مطلوبه ما البين ، وما دئم قد صر غلب ، مكف
يمك أن أشعر نحوه شيء ؟ .. وما كنت أشعفي ليه أي

أرشي لحاليه . ولو ملل ينش ويتنوه من البويه حتى يوم .. به
وينزف الدموع دما على كاهلين .. كلا .. كلا .. لن نضر
حقا ..

وعندئذ أخذت أيزابيل في التحيب ، ولكنها ما أن ..

بعض الدموع حتى كفتت عمر بها و استطردت تقول .

— إنك سألتنى عما دفعنى إلى الفرار أخيرا ..
صعبرت إلى هذه المحاولة ، لأنى أفلحت في إثارة حسد ..
منوى حسنه ولؤيحه .. من امتزاع الأعصاب من حدود ..
بملاقط مجناه في النار ، نحاح إلى مريد من مريد ..
أكثر من الضرب واللعن فوق الرأس .. ومد سرب ..
نسى حذره الذي كان يفاخر به ، ولد إلى أعتق التل ..
وملأنى السرور إذ استطعت أن أخرجها عن طورها . فأنسى ..
السرور في ممسى عريده الحاططة على الحياه ..
هاربه على الفور .. ملو عذب إليه يوم من ..
بنفسى بين يديه ثائية ، غابتنى استحق أن يمتد ..
انتقام ..

وأنت تعلمين أن مسير ابننسو كان يجب أن يجب ..
أمس .. وقد ظل محتفظ بوعبه وصحوبه ، ولم يهرب لغير ..
لهذا الغرض .. علم يذهب إلى الفراش كعادته ، في ..
صباحا ماقذ الوعى ، ليقوم عند انصهر مسنبت الشرا ..
وهكذا استيقظ مكتئبا بكاد الانتفاض يثقله . لا يصلح لده ..
إلى الكنيسة إلا كما يصلح للذهاب إلى مرتضى ..

تد .. ذات . جلس حوار المذمأ وراح يجرع كوكوسا مترعة
من الجن أو البراندى ..

أما هبتكليف — وإن بدنى ليقشعر عندما أنطق باسمه —
مقد ظل غريبا عن المنزل منذ يوم الأحد الماضى حتى اليوم ..
در .. كنت لئلا نكته هي التي كانت تجعله ، ثم أخوه
من الجان في العالم السفلى ! .. ولكنه لم يتناول ذرة من
أحد .. معار عماء أسنوع .. كان يعود إلى المنزل في أبحر ..
سبب من حصره ويوصد بابها عليه ، كنه كان عاك من
أخر في السبب رفعة .. وهناك يظل مصمى وسيسر كنه
من .. المسس .. ولكن المعبود لدى كان مضملا الله كان
من حرب ورماد .. وكان « الله » إذا دعاه مجذولا على
بحر .. ريب منه الشيطان الأسود .. وبعد أن يتم هذه
سبب الثبينة ، التي كانت تطول عادة حتى يبع صوته
ويحس في حلقه ، فإنه يبرح الدار لا يلوى على شيء ، فيبقى
سبب .. بحر .. وشد ما أعصت أن أبحر ثم يرسل في
طلب شرطه يعود إلى السجن ! .. أما أنا ، عطر ما كتب منه
من حرب وأسى على كثرس ، فقد كن من المستحل أن أبحر
أنا .. هذه العبرة التي تحوب فيها من طعنه المس ..
كأخاذة سعيدة !

وأستعدت برحى بما يكفى لسماع خطاب جوزيف الطويلة
الأسمة سور بكه . وللمضى في لدا .. دها وحدة في حطم
بحر حصى لخص المدور التي كتب أمثم ..
وذا حسك تطسب حلقه ما أنكى .. شيء عيولة حروف ..

ولكنه وهيمون شر رعيته يمكن أن ينقذني من أسير .. ولخير لي أن أجلس مع هندلي .. وأسمع مني حذسه في المروع .. من أن أحلبي مع « السيد الصنع » .. وخبيته لاس .. ذلك الشيخ بامون المردول .. وعندما يكون حشيد في المزلج ، أو مائتي اضطر غالبا إلى الالتصاق إلى المزلج في رعيته ، أو أرائق الحوق في إحدى الحرات لرعيته .. إذا كان خارج الدار ، كما كان شأنه طوال هذا .. ما أقيم لنفسى مصيدة ومتعد عند ركن المزدبح لخلوس .. ولا أمالي بها سعله مسير 'يرشو ليشعل به .. كما أنه من حائبه لم يكن ليرج بنفسه مما أعدته أما من مرتبت .. وهو الآن أكثر هدوءا مما أعدد أن يكون .. ما .. زه أحد أو يستثيره ، وأشد نبوسا واكتئابا ، وأقل نفسه وحيانا .. ويؤكد جوريف نفسه في أنه أصبح رجلا خيرا .. والله قد مس قلبه ، وهكذا من الخلاص كلها « صيرته سار » .. وقد حيرني أن استكشف علامه وحده من علامات هذا التبدل المزعوم ، ولكن ذلك ليس من شأنى في شيء !

وكننت ليله الأمسى أحلبي في ركبي الميوس .. ضائه في بعض الكتب القديمة ، حتى ساعة مباحره إذ توشحت الليل أن ينتصف .. وكان الحضور إلى الطابق العلوى سدو مشعا مروعا ، مع تلك العاصفة الثلجية لسهره التي تهب في الخارج ، ومع انطلاق أمكري باستمر ربحو عد .. اكتنبت .. وذلك القتر الحدث البناء ! .. ولم أكن أحره على رجع انظارى من الصصحت المفتوحة أمامى ، لأن ذلك 'المطر' الحزين كان

بمبارع إلى احتلال مكانها أمام عيتى .. وكان هندلي يجلس في الناحية الأخرى ، وقد أحنى رأسه وأسندته إلى راحته ، ولعله كان يفكر في ذلك الأمر نفسه ! .. وكان قد كف عن الشراب بعد مرحلة لم تصل به إلى فقدان الصوت ، وجلس ساكنا لا يتحرك أو يطلق بكلمة نحو ساعتين أو ثلاث .. ولم يكن يسمع في المزلج كله صوت ، غير ولوله الرصاص التي كانت ترحل لتوافد من آن وآخر ، وغير حلققه النجوم ، الدماء ، أو طفت سراس كلما أربل به دباله الشموع المحترقة .. أب حورب وهتون بالأرحح أنها كانوا معمار .. مات عميق في عرشهما .. كل محطس حريف غابه لحر .. وكننت خلال عرشى .. أرمز رمزات حاره ، إذ كان سدو لى أن كل ما في لعنه من بهجة وسرور قد تغيب بمعينه وتلاشى من الوجود ، ولن يعود إليه قط ثانية ..

وأخيرا عرق هذا الصمت الحرس صوت سفاط ، باب المطبخ وهى تتحرك في مكبها ، إذ يمكن هينكليف في عودته من جولته ليلته عن المعاد ، وأحسب أن العاصفة التي هبت فجأة كانت السبب في ذلك .. ولكن باب المطبخ كان موصدا من الداخل سارالبج ، عسمعه يدور حول الدار لدخل من الباب الآخر .. عندئذ انبعثت واقعة ، وعلى شفتى صيحه لم أستطع كتساب .. كانت تعبر عاب جملنج في نمى ، وحذب برهيقى الذى كان يحلق بأنظاره في الباب إلى أن يستتدر وينظر إلى ، قائلا :

— سوف أدعه واقفا في الخارج حين سمع أدرى . عيب
لديك مانع ؟

— كلا . . لك أن تدعه خارجا الليل بطوله من أجل . .
أسرع . . صبح المفتح في القفل وادفع المربح وراء . .
وفعل ابرئشو ذلك قبل أن يصل لقادم إلى وحيه الدار .
ثم عند وحذب مقعده نحو الحطب المتبل من السدود المائي .
حيث استند إليه . ومال نحوي . واحد يتنفس في تنبي
بمحصا . . لي أن كنت أشاهده ذلك لحقد البرق ابدى كس
يوجه في عينيه . . ولكنه كان يبدو ومحص كيه مثل نهاب
بعض ممرسته . فلم يستطيع أن يدرك ما عني . .
كان قد تمنى منها ما يكفي لتشجعه على الكلام . . فقال :

— أن لكلنا دينا عظيما لابد من استنبه به ذلك . .
الذي يقف خارجا . . فإذا لم يكن أحدنا جيبنا رعدبدا ، .
في وسعنا أن نوجد جهديا لاستخلاص هـد . .
تربك رخوه خائرة العزيمة كأحلك . . وهل يودن خيصال
ما تمنائنه حتى النهاية ولا تصاولس مرة واحدة أن تدرى
لنفسك ؟ . .

فاجبته :

— لقد أضفاني الاحتمال الآن ، ولمسوق بمنزى أن اثار
لنفسى على نحو لا يرتد على وبالا . . ولكن القدر والعنف
حرب ذات نصال مريعة في كلا طرفي . . وعم حرج أولئك
الذين يلجأون إليها مائسد مما تفعل بأعدائهم . .

فصرخ هندلى في وجهي قائلا :

— أن العذر والعنف هما الجزاء الحق للعذر والعنف . .
وإسنى بـ مسز هيثكليف لا أمالك أن تفعل شيئا . بل اجلسي
سائكة في مكانك ونسى أن لك لساب مستطع بطلق . .
و لا . . هل في وسعك أن تفعل ذلك ؟ . . إسنى عسى يقين من
أنك لن تفعل عسى سرورا واستهتعا بمشاهدة مياه الشسطين
الآخر . . إنه سوف يكون هلاكك . إذا لم تستقي إلى
إهلاكه ، وسوف يكون دماري . . ألا لعنة الله على الهـ
الجهنمي . . إنه يقرع الباب كلما أصبح سيد هذه الدار . .
عدي من تمسكي لسابك . وستبرين أنك فقس أن تدو
الساعة . . وقد بعيت ثلاث دقائق على الساعة الواحدة . .
فدوت امرأة حرة !

وأخرج من صدره ذلك السلاح الذي ودهمه بك في
خطائي . وأراد أن يلقى الشجع لولا سى يادرب من احطبه .
مته ، وأمسكت بذراعه قائلا :

— لن أمسك لساني . . كما أنك لا يجب أن تهسه . . دع
الباب موصدا ، واركن إلى الهدوء قليلا . .

فصاح الإنسان اليائس قائلا :

— كلا . . لقد انتقيت إلى قرار حاسم ، وأقسم بالله أن
أعذه . . سوف أسدى إليك جميلا برغم أنك ، وأرد إلى
هـدون حقوقه . . ولا أراك في حاجة لأن تشبه . .
حباتي . . لقد ذهبت كاثرين ، وم سعد في أبحود من

يحزن على ، أو يلحقه العار بسببي لو أبى قطعت عني هذه اللحظة .. وقد حان الوقت لوضع نهاية لهذا الأمر ..

ولو أنني ناصلقه وقتئذ مكاني كنت أصارع دما عاتيا . ولو ناقشته فكأنني كنت أجادل مجنوناً عاقد الصواب .. ثم تعد أمامي من حيلة الحأ إليها سوى أن أعدو إلى إحدى النوافذ لأحذر ضحيته مما ينتظره من قضاء .. قصصت في نبرات يخالجها الانتصار :

— خير لك أن تبحث عن مأوى لك في مكان آخر الليلة . فإن مسنر أيريشو يفكر في أن يطلق عليك النار إذا أصربت على محاولة الدخول ..

— بل خير لك أن تفتح الباب ليتها ..

قال ذلك وهو يحاطلني بلمح رشيق لا أرى به مدحاً لثروديه ! .. ولكنني عدت أقول له :

— لن أزع نفسي في هذا الأمر ، مما عليك إلا أن تدخل وتصاب بالرصاص إذا كان ذلك يسرك ! .. أما أنا فقد أدب واجبي ..

وما انتهيت من كلامي حتى أغلقت البامدة ثانية ، وعدت إلى مكاني بجوار الموقد .. وإذا كانت تحيرتي من تساقط المرغفت ، فلم يعد في وسعي أن أنظره بالقلق نحو الخطر الذي يتهدده ! .. أما أيريشو فقد راح يسبني في حرارة يؤكد أنني ما رلت أحب الوغد بعد ، ويطلق على صوما من المعوت والصفات لما أظهرته من نمسة وصبعة ! .. ! أنا كبت و

قراره قلبي ، ولم يؤنّبني صميري على ذلك قط . أرى كم تكون نعمة لهندلي ورحمة لو استطاع هتطيف أن يصنع مأواه ليؤسسه ، وكم تكون نعمة لي وبركة لو استطاع هو أن يرسل هيتكليف إلى مأواه العادل ! .. وفيها كنت جالسة أهدهد هذه الضواطر ، إذا بصراع إحدى النوافذ الضيقة خلف مقعدى يهوى إلى الأرض عذة بعد أن أهوى عليه هيتكليف بصرات عنقه ، ثم بدا من حلال البامدة وحده الأسود الهضيم .. ولم تكن القضبان الحديدية من السعة بحيث تسمح بمرور كفتيه ، فابتسمت ابتهاجا لما أحسست به من أمن مرحوم .. وكان الثلج الأنص يعلى شعره وثباته ، بنه كانت أناته الحادة المرسنة سائق في الظلام ، وقد حمله البرد والغضب يكشر عنها ..

وما لبث أن راح « يزوم » كما يقول حوريف ، فلا — دعني ادخل يا أيزاسلا ، وإلا جعلتك تنده من طوبلا ..

فأجبتة :

— ليس في وسعي أن أرتكب جريمة قتل .. فإن مسنر هندلي بقف بترقنا وفي يده سكين ومسدس محشو بالرصاص ..

— افتحي لي باب المطبخ ..

— سوف يسبقك هندلي إليه .. ثم ما أتفه هذا الحب الذي تطوى عليه حوائك فلا يجعلك تطيق رذاذا من الطلوح ! .. لقد كنا نرقد في غرشفنا هائنين باعدين طالما كأي عير

الصيف بشرقا راهبا ، ولكنك في اللحظة نرى يعود عنها
عصمة من عواصف الشتاء تسارع بالفرار والبحث عن ملجأ
وماوى . . . لو اننى كنت في مكانك ، هينكليف ، ذهب ورجع
فوق قبره حتى أموت أشبهه بكتب أمس دى وفاة . . . من
الدنيا لا تستحق العيش فيها الآن حسا . ليس كذلك . . .
أوجيت إلى ، بما لا يقبل الشك ، من كائين كنت وحده
كل ما في حياتك من بهجة وسعادة . ولست أستطيع أن أنسى
كيف تفكر في أن تعيش بعد فقدانها !

وعندئذ هتب رميقي وهو يندفع نحو مجوهد السعد :

س إنه هناك . . . ليس كذلك ؟ . إذا استطعت أن أحرر -
ذراعى فسوف أصيبه حتيا !

وأحسنى يا الملبس أن يمدى يديه مدبرة يده . ولكنه
لا تعزمين كل شيء ، علا تحكى على . . . عافنى ما نسب لأشرب
أو أحرص على أنه محاولة للأعداء على حسنة . يجب أن
أمر . . . ولكن ما من شك في اننى كنت أسمى مؤبه . . . ولست
فقد خاب أملى إلى حد محف . وأخلع قلبى من لربح
سوف يكون لأحدثى العيب من عواقب مروعة . عندما أرى
بنفسه على سلاح إيرنشو وأنتزعه من قبضته . . .

وانطلقت الرصاصة مدوية . . . أما السكين فإنيها عندما
ارتدت إلى مضئها ، أطبقت على رسع صاحبها . . . وانزعج
هينكليف في قوة حصاره ، حتى مزقت اللحم ومن تحرى
فوقه ، ثم ألقي بها في حبه وهى تقطر بالدم . . .

يناول حجرا ضخما وراح يحطم به الفاصل بين النافذتين ، ثم
ونب إلى دحر البحر . . . وكان عريه قد وقع على الأرض
فانقد الوعي ، من فرط الألم ، ومن غيض الدماء التى تدفقت من
شرايين كفه بنصوص . . . عاهد الوعد بركله وبطوئه بقسده
في البلاط برأسه المرة ثلو المرة ، وهو يمسك بي بيده
الأخرى ليجرد دون استعجالي حوريف . . . وكان مذل جودا
يؤر سعة بس في مكران الدات ودمع عوازل الإغراء ، حتى
لا حور على بس . . . ولكنه إذا بدا يلهث من النعب أحمر ،
كس من مثامعه سله الشيطاني ، وراح بحر الحسب المسخى
حس ريكه . ثم برق كس سرور أربشو وأحد يربط بجر -
و حسوبه وحشيه وهو يصفق ويلعن في حبه لا تقبل من
س . . . ريكه بها . . . وإذا التفت بسى قد بحروب من قبعه ،
له أبع شئ من الوقت في البحث عن الخادم الشيخ ،
س ما س . . . سوسب في ساء وتلد محوى فسور الماخله ،
حس كس . . . منظر الدراج كل انتفن معا ، وهو يفهم لاهبا :

— ماذا يجب عمله الآن ؟ . . . ماذا يجب عمله الآن ؟ . . .

نصاح به هينكليف في صوت كهزيم الرعد :

— هاك ما يجب عمله . . . ان سيدك مجنون ، ولز ظل على
هذه الحال شهرا آخر ، فسوف أبعث به إلى مستشفى
الأمراض العقلية . . . ثم كيف اجترأت ، بحق الشيطان على
س . . . بس . . . بس . . . بس . . . لا تنف هكذا
س . . . بس . . . بس . . . بس . . . بس . . . بس . . . بس . . .

.. اغسل هذه الأتذار ونظف الجرح .. ولكن حذار من شرر
شمعتك ، فان أكثر من نصف هذه الدماء من الكحول !

نهفت جوزيف وهو يرتع ذراعيه ، وعينييه ، إلى السماء
فزعا ورعبا :

— وإين فقد كنت تعمل على المتك به ؟ .. الـ .. لم تقف
على مثل هذا المنظر قط من قبل ! .. فليكن الله ..

وبعد ذلك دسعه هينريك دسعه مويه الصبية سوى ركنيته
وسط الدماء ، ثم طرح إليه بمنشفة .. وبدلا من أن يأخذ
جوزيف في مسح الدماء ، ضم يديه معا ، وانطلق في صلاة
العاظما المجيبة الضحك منى برغم إرادتى .. فقد
كنت في حالة عقلية تجعلنى بل الواقع
أنتى كنت فاقدة الشعور بتلده الحس كما يبدو بعض المجرمين
وهم عند اعتاب المشقة !

فقال الطاغية وقد نهته ضحكى :

— آه .. لقد نسيتك .. أنت التى يجب أن تقوم بهذا
العمل .. اركعى على الأرض .. هل كنت تتأمرين معه ضدى
أيتها الأفعى ؟ .. هيا .. هذا هو العمل الذى يليق بك ..
وراح يبرنى حتى اصططت أسناني فى قوة ، ثم طوح به إلى
حور حوريت .. وكان هذا لأخير ماص فى دعوائه واستهالاته
حتى أمحا فى ثبات ، وعندئذ نهض نادرا أن يذهب على الفور
إلى الجراجح .. عقد كان مستر لنسور قاصدا .. ولو مات
له حسوى روحه فلن يتأخر عن التحقيق فى هذا الأمر ..



وكان غريبه قد وقع على الأرض فاقد الوعي ، من مرط الأكم ،
وبس دماء الدماء التى تنفخت من شريان كبح مقطوع ..

من ذلك حليق ما بكعبك .. من البذالة والكرمان معاً
تضيقي عذابك إلى عذابه جل شأنه !

فاستطردت تقول :

— اننى اواقفك على ما تقولين يا ابنى صمه - مه .. ومن
أى عذاب ذلك لدى يصيب هكليب ويرصى .. إذا لم نش
لى بد فيه ؟ .. اننى كنت أرحو أن تفل آلامه ، لو اننى كنت
اننى سبيتها ، وكان هو يعرف اننى سبيتها .. آه ! .. اسى
مدينه له بالكثير ! .. واننى لطيفة بأن أمل أن اصبح معه ،
بشرط واحد فقط .. ذلك أن أجزيه عينا عين ومسنا مس ..
وكل عصرة من الآلم عصرة مثلها ، حتى اهبط به إلى مستواى ..
.. وإذا كان هو البادى بالعدوان والإساءة ، مدعاه بكى
البادى باستجداء الصبح ، وعندئذ .. عندئذ فقط ما لن
يمكن أن اظهر لك شئ من الكرم .. ولكن من المحال مض
أن أستطيع الانتقام لنفسى ، ولذلك دافى لن أستطيع الصبح
عنه ..

ثم أردفت تقابع الحديث :

طلب هندلى بعض الماء ، فناولته الكوب ، ثم سأله عن
حالته ، فقال :

— لست مريضاً بالقدر الذى كنت أوده .. وبغض النظر
عن آلام دراعى ، فإن كل قيراط من مدنى بخرس ويؤلمنى كأنى
كنت أحارب غرقة من العفاريت ..

مكثت ملاحظتى التالية أن قلت :

— نعم .. ولا عجب ! .. لقد اعتادت كاثرين أن يرهو نده
تقف بينك وبين أى أدى جسمانى .. وكأنت تعنى أن أحد
الناس لن يجزؤ على إيدائك ، حتى لا يسىء إليهما .. والآن
تأكدت أن الناس لا يقومون حقيقته من قبورهم ، وإلا كان من
الممكن أن تشهد كاثرين ليلة الأمس منطرا كريها مفسراً ..
الست نحس بالكلمات والقطوع فى صدرك وكعدبك ؟ ..

— لست أدري تماماً .. ولكن ماذا تعنين ؟ .. هل اجترأ
على ضربى بينما كنت طريحاً على الأرض ؟ ..

فهمست قائلة :

— كان يركلك ويدوسك بقديه ويضرب رأسك بالبلاط ،
.. كنت أعبت .. من مع شوقاً إلى تهريتك بألمه .. لأنه
ليس إلا نصف إنسان ، وأما باقيه فشىيطان رجيم ..

مطلع مسنر برمشو بعبارة إلى أعلى محملاً .. مثلى .. فى
وجه عدوا المشترك الذى كان مسمرقاً فى همومه و آلامه
بحث ك .. يبدو عاملاً عن كل ما يدور حوله .. وكان كلف طان
وقومه .. كلما أراد انقطاع أفكاره السوداء على أسراربه
وضوحاً ..

عدوه هندلى ، وتلوى فى مقعده وهو سيم بالنهوض ، وكذا
لا يستطيع صبراً ، وقال :

— آه ! .. لو أن الله يهبنى من القرد مسنر بدى .. نعى لأر

أحفته بيدي وأنا في الفزع الآخر ، لدخلت الجحيم راضيا
مسرورا !

ولكنه غاص في مقعده شبية ، وقد تملكه اليأس ، بعد ما
سبب قصوره عن التفضل .. سبب كنت اتصور مصوب مرتفع

— لا .. لا .. فيكى أنه قتل واحدا منكم .. أن كل
إنسان في « الجرائح » يعرف أن شقيقك كانت حليقة بالسقاء
على قدم الحياه الآن ، لولا مستر هينكلف .. وهكذا عن
الأفضل للمرء أن يكون محل بعضه وكرهيته من أن يكون
موسع حبه وهيمه .. وأنتي كلما ذكرت كيف كانت السعادة
بخلق موقف حبيبا .. وكيف كانت كاترس سعيدة هامة مثل
مقدمه ، أراى العن ذلك اليوم من كل قلبى ..

وأغلب الظن أن هينكلف أدرك ما في هذا القول من الصدق ..
أكثر من إدراكه ما كان يعمل في قلب الشخص الذي نظم له
.. عقد ثار اسماؤه للكلمات ، كما رأيت .. إذ أحسب عساه
تطيران الدموع من أعينها ، وراح يلمط أنفاسه في است
مختلفة .. مرحت أحملق النظر إليه موحية ، ثم صحت
ساحرة .. فأنطلقت نحوى من يامدى حبيب الغائبين بطرات
نارية لم تدم أكثر من لحظة .. ولكن الشيطان الذى كان
بصل منهما عادة كان كامدا .. غرت .. بحث لم يحالجنى الحوب
لحظة من المحازفة بضحكة ساخرة أخرى ..

مقال الشاكل المحزون :

— قومي ، واغرمى عن ناظرى ..

ومد يهيب كلماته من قبيل الحسد والحسب ، إذ كان
صوته مختفلا لا يكاد يبين منه لفظ أو حرف .. فأجبتة :

— أرجو المعذرة ! .. ولكنى كنت أحب كاترين أيضا ..
وها هو د شقيقها يحسب إلى العنسة الى سوف أقدمها له ..
إكراما لذكراها .. أما وقد ماتت الآن ، فأنى أراها في همدلى
.. أن عسه تشبهان عينيها تماما ، لولا محاولاك في جعلهما
بارزتين مجلتين بالسواد والعبرة ! .. كما أنها ..

فصاح قائلا :

— انهضى ايها النعسة الحبيضاء ، قبل أن اسحقك حتى
اتقضى عليك ..

ثم هم بحركه جعلتنى أتحرك في مكانى بدورى .. ولكنى
أردفت ، قائلا ، وقد أعددت نفسى للفرار :

— ولكن لو أن كاترين المسكينة كانت قد وثقت بك ورفضت
أن تتحد بعفسها ذلك اللقب المضحك الحصر المررى ، لفت
« مسر هينكلف » ، لعدت وشك في مثل هذه الصوره
الالمة .. ايها — هى — ما كانت لتحتفل بمسالكك المطبوع في
سكون وهذوء ، ولوجد بغضها واشمئزازها بنفسها ..

وكان طهر المعد المرتفع ، وشخص ايريشو ، بحولان بينه
وسنى .. وهكذا ما به من أن يحاول الانقصاص على ..
أحدثت سكك من فوق المدة ، وقذف بها رأسى ، فأصابتنى
تحت أدنى .. وأوقفت العمارة أنتي كنت علم وشك أن أنطق
بها .. ولكنى انتزعتها ، ووثبت بحسب الباب ، ثم أقيمت إليه

بعبارة أخرى أحسبها كانت أشد عمقا في نفسه من قذيعته التي رمى بها . . . وكانت آخر لحظة رابتها منه ، أنه اندفع نحوى في وحشية . ولكن حارس بيته وسى ملاحظتى أن مضيه قام محتضيه ثم سقط الإنسان متهايا كمن يحور المدد .

وفي أثناء غراوى من بعد صبح . طلبت أن أخرج من بيتي سريده ، وتمعنت في هيرتون الذى كان ينلى جروا رضينا من موق طير المقعد في منحل المطبخ . . . وفى استعادة الرو - التى طلعت من يوم الحساب . انظمت أقر وأثب وأطير طيارا في الصرعى المجدرة . ثم ما لبثت أن تركت وحيد ومضى أخترق الدارارى رأسا ، متدحرج موق الشطرن . وأخوض خلال المستنقعات ، واستمعت حطاي نحو « بحر صبح » الذى اتخذت منه مزارا يهدينى بسواء السبيل . . . وأثنى لأفضل من يدرك أن يحكم على الناس . . .

الجهنمية ، من أن أقضى وسو ليله واحده تحت سقف « مرتفعات ويلدريج » ثانية . .

وكانت ابراسلا عن الكلام ، وأحدث رسمه در الشاى ، ثم موصت وظلت إلى أن أعاونها في ارتداء معطف . تدثر بشال كبير أحصره لها ، وقد أعارب بوسلاتى ليا سلتا ساعة أخرى أفدا صماء ، ثم ارتقت مقعدا فقبلت صورة كاثرين وصورة ادجر ، ومنجنتى قنله أخرى . وسعدت في العربة وفى صحبتها كلها « فانى » الذى كان يتبع في فروح شديده لاستعادة سبدته . . . وانظمت ب العربة . - صبح قديم في تلك الأثناء بعد ذلك قط . . . ولكن عثب سدى وبين سیدی

مرس منظم بعد أن ازداد الأمور استقرارا . . واعتقد أب تحدث مخرها الجديد في الحنوب ، بالقرب من لندن . . . وحدث وصفت علما . بعد بضعة شهور من مرارها ، اسمه « ليتون » ، وقالت إنه كان منذ مولده عليلا هريلا شكسا . . . ومبلى ستر هيثكليف في القرية ذات يوم ، وسألنى عن الحى لدى نعيم فيه . فرمست أن أخبره به . . . فقال أن الأمر لسر لدى أهله لديه . ولكن عليا أن تحذر الحضور للإقامة مع حيا . . . ولقيم بالامق عليها إذا شاء ، ولكن على إلا تسكنه أو تقيم معه . . . ومع أسى است الإدلاء إليه سنة معيوب ، عند اكتشف ، عن طريق بعض الخدم الآخرين ، لكى لدى تقيم فيه . ومولد الطفل أيضا . . . ولكنه مع ذلك لم يسه على إزعاجها أو ملاحظتها . . . وهو إجماع أحسبها تحميه بواحه وحى موره ميا وكراعتة لها . . . وكان عالما ما يدلى عن العلام ، كلما رأتى . . . ولما سمع اسمه أستم في عوس وقال معقا :

— أنهم يريدون أن أكرهه أيضا . . . اليس كذلك ؟ . .
— بل لا أحسبهم يريدون أن تعرف عنه شيئا البتة . .
— ولكن سوف آخذه . عندما أرمد . . . وليكنوا من ذلك على يقين . . .

ومر حسن الحظ أن أمة قصت بحبها قبل أن يحين ذلك الوقت . . . وكان ذلك بعد وفاة كاثرين بثلاثة عشر عاما ، عندما كان ليتون الصغير في الثانية عشرة من عمره ، أو أكثر قليلا . . .

لم تنجح لى أية مريضة للتحدث إلى سسندى تده رماره
ايرابيليا غير المتوقعة .. فقد كان عزوها عن الحديث لا يسمح
له حالته بمناقشة أى موضوع .. غلبا استطعت أن أحبه
على لإصغاء رأيت أن غمراى شقيقته لروحها قد سرده كثير .
إذ كان يمقت هتكلف مقنا شديدا بلغ من المررد ما به
أكر أحسب أن اعتدال طبيعته يسمح به .. كان صوره
واشبهه من العمى والحساسيه بحيث كان يحسب
لذهاب إلى أى مكان يحتفل أن يراد منه أو يسمح به
.. ولهذا السبب ، فضلا عن حزنه العميق ، تحول ادجار
إلى ناسك يعزل الناس والعالم .. فتخلى عن وظيفته
القضائية ، وامتنع حتى عن الذهاب إلى الكنيسه .. وبحسب
زيارة القبره فى جميع المناسبات . وراح يحكى حبه
فى عرلة قائمه داخل حدود سنده وجده . لا يحاورهم إلا
فى حوله يقوم به وحيدا من الغمراى . أو رياره مؤدب لغير
روحته ، معظمها فى المساء أو الصباح الباكر قبل أن يخرج تده
من المارة من ديارهم ..

ولكنه كان من الطيبة والتدين بحيث لم يتم عبر الاستسلام
للشقاء طويلا .. لم يكن - كما فعل الآخر - يدعو روح
كاثرين إلى ملارمته وارتماده ! وساهم الزمن فى جعله يدين
للقضاء . وكساه طائعا من الكآبه ألقى من المرح المانوب ..
وكان يستعيد ذكراها فى حب وحنان عميق - وفى الدعاء
لها بالتئتم بعالم أفضل ، لم يكن يشك البتة فى ذنوبه إليه
.. ولكن كان له عزائه وعواطفه الدنيوية أيضا .. فقد مكث

أحب حبه حذرا لا يهتم على الاضلاق بالنسبه الصغيره التى
حنفتو الر حله .. ولكن حموده ما ليث أن ذاب بأسرع مما
بدون طيح فى تفسير أدبى ، حتى أنه قبل أن تستطيع
أحسب أن يطلق بكلمه أو نحو خطوة . كانت تحتل فى قلبه
أشبه مكث .. وسهاها كاثرين . ولكنه لم يكن يدعوها بهذا
الاسم كاملا مط ، كما لم يكن يدعو كثيرين الأول باسمها
أحسب قط .. ربما لأن هتكلف اعتياد أن يدعوها به ..
كذلك لعمرة يسمى " كنى " ذاتها .. وكان له فى ذلك
ما يميزها عن أمها ، وما يربطها بها فى الوقت نفسه .. وكان
سمعه به يسبق من صلتها بأبها أكثر مما يبعث من أبويه لها ..

وقد اعتدت أن أقارن بينه وبين هنرلى ايرنشو ، واكدح
مكرر . فى حبه ودهشه ، للوصول إلى تفسير بمعنى لما بد
من - نحن صلتهم إلى هذا الحد ، فى ظروف مماثلة
.. كان كلاهما روحا شديدا الولع بروجه ، عزير
الدينه نحو طيله . ومن ثم لم يكن يوسعى أن أعهم كيف
لا يمسك كلاهما طريف واحدة ، سواء أكادب نحو المبح أم نحو
أب .. ولكن هنرلى - كما قلت ليمسى - وقد ك أمواجه
.. وأكرهما عقلا . قد أثبت أنه أسوأ لائش وأصعبها ..
عصمه رطب بعينته . حذر الزمان مركزه . فاندفع
حذر نحو لمررد ولموصى . ندلا من أن يحاولوا إنقاذ
سليم المنكودة ، ولم يدعوا لها ذرة من الأمل فى النجاة ..
وهم العكس من ذلك . تطير ليمتون تلك الشحاعة الحقه اسى
تتمر بها النفس المؤبده المخلصة .. كان يقول بانه ينجيه به .

فوجه الله الرحمة والسكينة .. غذا أحدهما مع الآخر ..
والآخر مريسة لنياس .. اختار كل منهما نصيبه ، فمدر
عليه أن يحتله بحق .. ولكنك لا تريد أن تسمع من عند
المقد لأخلاقى يا مستر لو كود .. ويود أن تحذرك بسببك -
مثلمنا استطعت أن أعمل - على كل هذه الأشياء .. أو هذا
على الأقل ما سوف تظن أنك فاعله .. والأمر بعد ذلك سواء ..

وجاءت نهاية إيرنشو مثلما كان يمكن للمرء أن يتوقعها ..
وقد أعقبت وفاة شقيقته سريعاً ، لا تكاد يعمل سبعة أشهر -
سبعة شهور .. ولم تكن في « الجرائح » تعرف أمر شيء ..
حالته قبل موته ، فكل ما استطعت أن أعرفه إنما سمعته به
عند ما ذهبت للمساعدة في معدات الحنار .. فقد حضر مستر
كينيث ليلغ الفبا إلى سيدى ، في صبح أحد الأيام .. ومن
الوقت مبكراً ، فلم يشأ أن يصدمنى بذكر الأنساء السمسرة
مباشرة ، وإنما مال لى وهو يدخل راحته جوده في لفت
- حسنا يا نللى ! .. إنه الآن دورك ودورى في إرداء -
العداد .. حين تظنينه قد غاب منا اليوم ..

فسأله في لهفة شديدة : من ؟

فقال وهو يترجل ويملق عمان العواد في الحطاب بحر
الباب :

- لماذا ؟ .. عليك أن تحصدى بنعمتك .. ثم عليك أن
برمعى طرف مبرولتك ، فنى واثق من أنك ستفاجئ إلي ..
فصحت قائلة :

- إنه - نحنا - ليس مستر هينكليف ..

مقال الطيب :

- ماذا ؟ .. وهل كنت تجدني دموعاً تذرفها عليه ؟ ..
كلا .. فبشكل شاذ متين الجسم قوى البنية .. وهو يبدو
مشرقا صرا اليوم ، وقد رأيته للتو .. وقد بد جسمه مبتلى
باللحم مريعا مقد أن ضاع نصفه الحلو ..

فعدت أهتف في صبر نافذ :

- من إذن يا مستر كينيث ؟

- هندلى إيرنشو .. صديقك القديم هندلى ، وصاحبى
لسنس بكنود .. ولو أنه من سيد السرودمى في هذه
الآونة الطويلة الأخيرة .. أه ! .. لقد قلت أننا سوب نفجر
الماء من العيون ! .. ولكن لا .. دعى عنك اليكاء .. فقد مات
محلح لحظه ومديه ! .. ما نبالا كبح اللوردت ! .. أه !
.. ما للسنى المسكن ! .. اسى حزين من أجله كذلك .. والمر
لا يهلك إلا أن يحرق لمعد رمى قديم ، ولو أنه كان ينفلىوى
على أسوأ الصعاب التى لا يحبها إنسان .. ومعل معى الكثير
من بو .. الحدح ليدنيه ! .. وبدوا به لم ينحور السمسرة
والعشرين من مره .. أى في مثل سبك تهايا .. فهذا الذى
كان يظن أنكما ولدتما في سنة واحدة ..

واهتمر أن تلك اللطمة كانت أشد وقعاً على نمى من
صعنة وفاة مسر لسبون .. وبدأت دكرىب أياها الصدمة
تضوم مقلنى .. عطلت في الشرفة .. ومحبب أبكى بحرقه
كانها أبكى قريبا تربطنى به صلة الدم ، رغبة إلى .. فتر كينيث
أن يدعو خالها أخرى لتقوده إلى السند .. ولم يكر في

وسمى أن أجمع مسمى من إيمان الفكر في هذا السؤال : أنا أتراد
لقد معاملة كريمة لأنه ؟ .. فاعتنى بها معلم . من هذه
المكرة سوما تطل تلاحتنى ونعسى عشى .. وقد كانت من
الإلحاح المضنى بحيث عزمت على أن أسس الإذن لى الددب
إلى مرتعات ودرج « . لأساهم في « ذا الوحب الأصبر
بحو المقيد .. وكان مسر لننور . في « دى الأبر . منى كل
البر أن مسسج لى بذلك . ولكنى رحت ادع في حرارة
ودلاية لسل عن الحال التى برمد بها همدلى مجرد . من
رمدقاء والأحصه . وقت أن لسندى العدمه واحى في
اربعة . من الحقوق في خدمتى به لا يس عن حقوق
مسر ليسون نمسه .. ومغلا عن ذلك ممد ذكرته من
ميرسون الضل هو ابن شقيق زوجته . وان من واحه . وهو
أقرب لى إليه الآن . أن يكون حاميه وحارسه .. وقت
إيه شعى له . بل يحب عليه . أن يحرى عن الحاله لى
تركب بها إهلاك شقيق زوجته . وأن ينظر في رعاية مصالحة
.. ولكنه كان وقتئذ في حاله لا تسمح له بمشاهه مثل هذه
الشئون . فأمرنى بأن أتكلم في ذلك مع محاميه . ثم سمح لى
بالذهاب .. وكان محاميه هو محامى مسر ايرنشوى الوقت
نفسه . فذهب إلى زيارته في القرية . وبالفه أن يصحسى
.. ولكنه هر رأسه مليا . وتصح لى بأن مدع مسر هتكتف
وشأنه . مؤكدا أنه لو عرمت الحقبة . عسست أن هيرتون
قد برك آدمى إلى المحدثين والشهادين .. ثم أردت قائلا .

— لقد بات أدوه غارقا في الدس . بعد أن رهن كل ما يملكه
.. ولأمل الوحيد أمام الوريث الطبيعى الآن . هو أن ينج له

المرصه لى يخلق في قلب الداش نسبا من الإهينم به بحيث
يميل إلى معاملته بنوع من الرقيق والتضامح .

علما سمعت « مرتعات ودرج » . اوضحت أننى جنب
كى أنارك في عمل الترتيب اللانقة بالمقيد .. وقد أعرب
حوريم عن اربياحه بحسورى . وكان يبدو في حزن عميق
.. أما هينكليف فقد قال إنه لا يرى شيء به بصاح لوجودى .
ولكن في وسعى أن أبقي . وأن أمر بما أراه نحو معدات
الخنار . إذا رغبت في ذلك .. ثم عقب قائلا :

— إن الأصوب أن يمدن حضما هذا المبرود في مبروق
الفرق دور افعال من أى نوع .. فقد حدث أن تركته عشر
معد بعد ظهر لاس . مما كان منه في هذه المقرة الوحيزه
لا أن وجد أبواب المنزل في وحشى . ثم أجدى الليل بطوله
سرت تخمر حتى من نمسه عن عمد .. وخطيب اسباب في
الصبح . إذ سمعناه يرسل محبا عالي كالحسناء هوحنده
ملعى موق الأريكة . عابا عن الصواب . لا يلقى ولو سلحت
خلده و سعت رأسه ! .. وأرسل في طلب ككنث . علم
بحسب إلا وقد تحول هذا اللهيى إلى رمة ! .. كان مبتا .
سرد . مسسا .. وهكذا برين أنه كان من امعث أن نحدث
بريدا من الضحة بسببه ..

وأند الحامه الشبح هذه الروايه . ولكنه عمقه قول .

— كتب أعصر أن يذهب في طلب الطبيب منمسه . هاننى
كنت حليقا بأن أعنى بالسيد خيرا منه . به به بكر مد
أنت عند دهنى .. لا شيء من ذلك .

واصررت على أن تشيع جنازته بها يلقي به من احترام .
مقام متر هيثكلهم إليه يدع لى التصرف فى هذا الأمر كما
أشاء 'أبى' ولكنه يود أن يدكرنى من يدى سيسى فى
الجنازة إنها سيخرج من جيبه هو . . . وكان يبدو جامداً . فى
غير مبالاة ، لا يتم مطهره عن حزن أو عرج . . وإن من على شيء
الته . وإنما يدرك على رضى صارم . كما يرضى لمراء سسديا
يسبى سحاح من ميمه شافه . . بل لعد لاحظت مره فى
الواقع شيئاً يشبه الإبهاح فى مطهره . وكان ذلك على وجه
الجدد عندها حمل البعث إلى خارج المنزل . . ومع ذلك
فقد كان من المفاق بحيث ارتدى ثياب الحداد عند تشيع
الجنازة . . وقبل أن يعاد المنزل مع هيرتون ، حمل العلامة
المكود ووضعها فوق إحدى الموائد . ثم ععم بقول له فى تلدد
عريب : « واذن يا صغيرى العزيز ، لقد أصبحت لى وحدى .
وسوء نرى إن كانت الثمرد لى شئ معوجة كالشمرد
الأخرى . يا دامت الريح إلى تيب علمها وثنيهما و حده »
.. وسر الطفل البرى لهذا الحديث الذى لم يفقه منه شيئاً .
ورج بعث سسوالف هيثكلهم ويريت على حده . . ولكن
تكهنت بالمعنى الذى يرمى إليه ، فقلت فى مرارة :

— إن هذا الصبى يحب أن يعود معى إلى « ثرشكروس
جرنج » يا سسدى ، ميو آخر شيء فى العالم يمكن أن يصح لك !
مسالى فى اهتمام : وهل قال لينتون ذلك ؟
— بلا شك . . لقد أمرنى أن أعود به معى . .
فقال الوعد :

— حسنا . . إننا لن نناقش هذا الأمر الآن . . ولكن بى

ميلا إلى أن أرى علاماً صغيراً ، يملأ سسديك به إذا حاول
أخذ هذا الصبى ، فلا بد لى من أن أهدل أبنى محله . . ولست
أعهد سرت هيرتون بدهب دون أن أمارح حق سسديك فى
أخذه ، أما الآخر مائى واثق من إحضاره حتماً . . فلا تشي
أن تبليقيه ذلك . .

وكان هذا التلميح كافياً لغل يدى . . غلما عدت أخبرت
سسدى بم حال . ولما كان ادحار سسوى قليل لاكثراب لادبر
عد سسديك . غلما لم يسلكم عن التدخل فى الأمر بعد ذلك
قط . . ولست أعتقد أنه كان قادراً على عمل شيء ، حتى
ولو كان راغباً فى ذلك . .

وهكذا سيج 'السيف سيد' « مرثعات ويلدريج » من ،
حيث استولى عليها بيد من حديد ، واثبت للمحلمى —
يدى أمب ديك سسرت لسسوى مدوره 'ان يرسشو سسديك
كل سر من لارادى الذى كان يملكها للحصول على المال يدى
سبع به جنونه بالمقامرة . . وكان هيثكلهم سسديك هو
'سيسى' .

وعلى هذا النحو أصبح هيرتون — الذى كان ينبغي أن
يكون من لاسد الآوى فى المنطقة — حالى الوعاض لا يملك
سب . ويعتمد اعتماداً كلياً على عدو أمه اللدود ، ويمشى
فى منزل أسرته كحد الحدم — وإن كان محرووب من مره 'أحر
لدى بنفائسه الخدم ! — وهو عاجز عن استعادة حقوقه ،
لأنه حرره من الاسماء والاصابر . ولأنه يحيل كسب كان
ضحية الفقر والخيانة . .



الفصل الثامن عشر

وتابعت مسز دين قصتها غفالت :

كانت الأعوام الاثني عشر التي تلت تلك المدة المشبوهة .
 أسعد أيام حياتي ، فكان أعظم ما لفتني عذب من مباحث سالت
 من تلك الأمراض الطفيفة التي كانت تنابت أحيانا مسعد
 الصغيرة . بلها نصبت جميع الاطفال بسوى في ذلك العنى
 منهد والمغير .. وفيما عدا ذلك غابت سعد عن احداث الشهور
 السمة الاولى . بشبه كالشجره اناسقه . وسقطت
 مشى وأن سظم على طريعي الخاصة ، قبل أن يزهر العشب
 مره أخرى حول قبر مسر لنتون . أتى على أن سر عام على
 وماتها .. كانت أكثر « الأشبه » استعماله للقلب وأقصر من
 استطاع ، في يوم من الأيام . ن حلت نساء من ضمن امر
 المنزل الموحش !

كان محياها آية من آيات الجمال ، فقد ورثت عيون آل
 ابرئشو السود الساحره . وورثت من آل لستون بشره
 الباسعه لبس . وملاحجه انطقه . وشعره لاشتر المحمد
 .. وكانت روحها عالية ، في غير خشونة .. وتميزت بقلب
 شديد الحساسية والحيوية إلى حد الإفراط في عواطفه ..
 وكنت كلما رأيت ذلك لا بعدد اللعق الشديد بمادة ..
 أذكر لها .. ومع ذلك علم مكن مشيبا . لأب كنت تراء
 على ن تكون يد معه رفيقه كنحمة . كذا كان لي د وب عدا

جمن . ومحا ترسمه عنه علائم التفكير والاشم . لم يكن
 نصيب مبرا جموها ، ولم يكن حبها ضاريا عنيا ، وإنما كان
 شفيف محو . ومع ذلك علا مد من الاعراف ده كبت لب
 حذاء بسس مرايح .. من ذلك ميها إلى السوء ! بل
 ركبت ب رادة عنيدة ككك التي يكتسبها الاطفال المذللون
 سوء الكو مسالى بطمعيهم أم مشاكس .. علو مسندت ل
 عصب احد لخدم عرب لا يريد على لمول دائما . سوب احمر
 رابا .. ما لا لامها ولادها ، ولو نصره راحده . ثم
 بعه صاب ما يحطم لظوب .. وليس اعبد انه حطص
 يوما من الايام بكلمة خشنة أو عبارة قاسية ..

ومد حد على بته امر تعليمها ونقمتها بسده . و من
 من ذلك مسلا له .. ومن حسن الحظ أن سرعة قريحتها
 وميلها إلى العلم ، في شفف وفضول ، قد جعل منها ملوده
 مجدة ناجحة .. وكانت تدرس في سرعة وثيم ، وتلتهم
 دروسه ما ألح تلب والادها وحري معه في تعليمها
 خير الجزاء ..

ولم تكن حتى الثالثة عشرة من عمرها قد خرجت إلى
 ما وراء حدود البستان وحدها .. كان مسر لينتون رمسا
 صاحبها إلى خارج البستان ميلا أو ميلين ، في مرات نادرة ..
 ولكنه لم يكن يأمن أن يعهد بها إلى احد سواه .. كان
 القرية « جيمرتون » لفتلا لا قيمة له ولا معنى في أسب .
 وكانت الكنيسة هي المشى الوحيد الذي أله ..
 عدا منزلها .. أما « مرتفعات ويندريج » و « مديريه »

مم يمكن لهم وجود بالنسبة إليها .. كنت تعيش في سرله
تاهه .. وكانت فيها يبدو قناعة بذلك راسيه تاهما .. وأقول
« سيد يبدو » لأنها كانت أحبها كلها سرحت باطرده .. من
نافذة حجرة العايبها ، في المناظر البعيدة تقول في تردد :

— كم ينبغي أن ينقضى من الوقت ما املن قبل أن استطيع
السير إلى قمم هذه التلال ؟ .. شديدا أعجب ما الذي يقع
في الناحية الأخرى منها .. هل هو البحر ؟ .

فكنت أقول :

— كلا يا مس كاثي .. بل تلال أخرى شبيهة بهذه تاهما ..
وسألته مرة :

— ترى كيف يكون منظر هذه الصخور الذهبية إذا وقعت
تحتها ؟ .

وكأن لسميح الشدود الانحدار لصخرة : مسير كراجر ،
يلفت نظرها بصفة خاصة ، ولا سيما عند تدليق عوقه أشبه
الشهب العريه ، سيما تلف لطلال سائر قمم التلال والناحي
المجاورة لها .. فقلت لها إنها مجرد كتل من الحجر والصخور
الصلدة التي لا تحوى شيئا من التره صلح لائنات شجرة
واحدة ..

فتابعته استلثني في إلحاح :

— ولماذا تطل مضيقا وقتنا طويلا بينما يحتم الظلم هما ؟ .

— لأنها مرتفعة ارتماعا عظيمًا عن مكاننا هذا .. كما أنه
ليس في أسفل تلك أن تتسلقها ، هي شديدة الارتفاع

شديدة الانحدار .. ولطوح تعلوها في الشتاء قبل أن تصل
إلى .. من لقد وحده التلوج مرة ، في أواسط الصيف ،
بحثت ذلك الحويث الأسود الذي تربيه في الحطب الشهي
الشرقي :

عندئذ صاحبت في جنل :

— آه ! .. هل ذهبت إلى هناك إذن ؟ .. سوف أستطيع
بـ .. بدوي إذن عسى الملح يبلغ النساء ! .. وهل ذهب
أبى إلى هناك يا إيلين ؟ ..

فسارعت إلى الإجابة قائلة :

— سوف يخبرك أبوك يا ألسني ، أنها لا تستحق عشاء
مـ .. من الرازي التي فتحوين معه ميا ، أعظم منها
حد رروعه ، كما أن سنان ثشكروس « هو أحمل مكان
في العالم ..

معبهت كأنها تحدث نفسها :

— ولكني أعرف البستان ولا أعرف هذه التلال ! .. ولسوف
سبحني أن أقف فوق تلك القمة العالية وأحصل أنطاري سها
يحيط بي ! .. سوف يأخذني مهري الصغير « ميني » إلى
هناك يوما من الأيام !

ودعوت إحدى الوصيات أمابا مرة اسم « كيف الحوربات »
دور دكره راسب بالرغبة في تنفيذ هذا المشروع ، وكانت
لا تفتر تذكر صفو والدها بالحديث عنه ، فكان يعدها بأن تنوم
بهذه الرحلة عتبا تتقدم في العمر ولكن مس كاثرس

كانت تعيش عمرها بالشهور ، مكان لسفر ندى لا - رج
شقيقها : « والآن ، هل كبرت بما يكفي لذهابي إلى بستان
كراجر ؟ » ولكن الطريق إلى هناك كان ممر ملاءمة
مرتفعات ويدريج « ، ولم يكن ادجار يميل إلى ممر -
وهكذا كانت تطلق دائما هذه الإجابة : « كلا لا حسنى .
لم يكن الوقت بعد 1 » .

قلت ان مسر هيفكليف عاشت أكثر من اثني عشر عاما بعد
من هرب زوجها ، وأصبحت أن أفراد اسرهم كانوا جميعا صغار
بنيتهم ، وكانت تقصصها ، كما تقصص ادجار ، تلك قصصه
لسمعه لقي تلقاه عادة في أهل هذه المنصة . ولمع نرس
عن يقين ماذا كان مرسها الأخير ، ولكنني أحسب أنها و . م
عد من مرس واحد ، هو نوع من الحمى محسنة النمر
بدانها ، ولكنها غير قابلة للشفاء ، وتسمى الحما ، وبها
التهابه . وقد كنت إلى أحيانا لتخبره بمرسها ، مرس
ألزمها المراثي أربعة شهور متوالية ، ورجعت إلى بيت إليي
إذا استطاع ، لأن لديها الكثير من الأمور التي تريد تسوية .
ولأنها تريد أن يودعه الموداع الأخير ، وتعد أنه ليس من الصعير
أمه مطمئنة . وكانت ترحو أن نترك هيفكليف لينتو مع
خاله ، كما كان معها . وبعد شهور في غناء نرس إلى
كان عروفا عن الإصحاء نائيه في سمنه . ولم يور
سيدي لحظة واحدة في الاستجابة لرجائها . وعلى الرغم
من عبوره من مغادرة منزله في لزمباب العادية ، كما كان
عبده في الآونة الأخيرة فإنه سارع إلى تلبية تلك الدعوة

وعهد بكثيرين إلى عديتي الساعده أثناء عباده . وأصدر لى
أو مره المسدده ، لا أدعيها بجوب حارج البيت ، ولو في
صحتي . . أما خروجها وحدها فأمر لم يخطر له على بال .

وطالب عبه ثلاثة أسابيع . . على اليومين الأولين كاتب
الصغير المعبود به لعاشقته تخلص في ركن المكتبة وقد معها
خبر من نمره أو لعب ، وهكذا لم تنس لى إلا لفتن
من المتاعب وهى في هذه الحالة من الهدوء والسكينة . .
ثم ثقت ذلك فترة من الليل المصحوب بضيق الصدر
وحسكسه . . وذكنت كثيره المشاعر ، وقد عظم لى النمر .
وليس في وسعى أن أجاريها في القفز والجري والصعود
بعدد مسستها . فقد استبطلت طريقه بسطيم بها أن
سلى نفسها بنفسها . . وذلك بأن أبعت بها لتو . بالحوال
وحدها داخل حدود المزرعة ، سيرا على الأقدام ، زارده
بهره الصعير بارة أخرى ، ثم اتلقاها بالإصغاء في صبر
من بعض معمراتها الحقيقية والخيالية ، عندما تعود
جوديه .

من الصيف مشرقا بكل روعته وبهجته ، فكانت تجد متعة
كثيرة . . بعد سرعات الأسراده ، بحيث كنت كثيرا ما تنفى
الدار من وقت الإططار حتى موعد الشاي بعد الظهر ،
من سب في رواه قصصها الخالية المثيرة . . ولم
تسجل أن حضور حبيد الرسومة لها ، لأن النوايات
من حكمة محو . . وليس حدة إلا أنه . . أما
من حبه وحدها لم أنها كانت مغرورة على حبه . .



ولكى سرعان ما تبينت - لسوء الحظ - ان شمس ام بكر في
موضعها .. فقد حضرت لى كثيرين ذات صباح ، في الساعة
الثامنة ، وقالت إنها سوف تكون اليوم ناجرا ربما يمر
الصحراء قامله ، وأن على أن أوفر لها المزيد من المؤن لسبب
ولسائر أعضاء القافلة من الدواب . وعلى حصانها وبدنه
« جمال » ممثلة في كلب سلوقي كبير واثنين من كلاب
الصيد .. فأمددت لها كمية وميرة من الفطائر والحلوى
وجبتها في سلة علقتها على أحد جانبي سرج الحصان ،
وعندئذ اعتلت ظهره في خفة ومرح ، وقد أريدت تعجب د
العامة العريضة والنقاب الحريري الحبيب ليحجب رأسه
ووجهه من شمس بولبو القاسمه ، ثم انطلقت تعدو مالحود
وهي تطلق ضحكة مرحة ، وتسخر من نصائح وقدرسي
بتجنب الإسراع في السير ، والتبكير في الحضور .. ولكن
لحبيبة لم يظهر حتى موعد تناول التيساي . ولم يمس من
أمرد ماملتها سوى الكلب السلوقي إذ كان مصعب في سمر
معهما بالراحة والاسرحة .. أما كس وانبر وككب حسد
فلم يظهر لأى منهم اثر في أى مكان .. وبعد سمر
يجوسون خلال المبرات في البستان والمزارع . وحرر مسب
للبحث عنها بنفسى .. والتفتت بعامل يسلم في صبح
السياج حول أحد الحقول ، عند حدود مزرعتنا ، وسألته
كان قد رأى سيدتنا الصغيرة ، فقال :

— لقد رايتها في الصباح حيث طلبت منى أن أقطع لها
حصنا من شجرة العندق ، ثم وثت بجوادها فوق السور ..

ثم انطلقت تعدو بالحواد وهي تطلق ضحكة مرحة ، وتسخر
من نصائح ويخدراني بحب

بذلك البقعة لى شخص سجا كثر من غيرها . وأسرع بعدو حتى اختفت عن الأنظار !

ولك أن تتصور مبلغ ما اعترانى من حرج لدى سماعى هذه الاساء . وحصر لى على الدور أنها لا بد مد ذهبت إلى « صخور بنستون » التى كانت تتوق لرؤيتها عن كتب .. فهتفت أقول لنفسى : « ويلاه ! .. ماذا يكون مصيرها ؟ .. » ثم بدت بحل الشد لى كل اعلى بصحبى السباح . ومضيت قدما نحو الطريق ، أغذ السير كانتى فى سبيل ، وأطلع القطار ملام بعد ميل . حتى بلغت بمنحنى أرى عنده « مرتفعات وبدرج » . ولكنى لم يس ابراكه من قرب أو من بعد .. وكأنت « صخور بنستون » نفع على بعد ميل ونصف من ممكن مستر هيكليف ، كما كان ذلك يبعد عن « الحرج » بربعة ميل . وهكذا بدأت أحتس أن يهبط لطلام قبل أن أستطيع بلوغها . ورحبت عمم عالى بسى . وماذا يكون الحال لو كانت قد زلت قدمها فى أثناء سلقى الصخور ، فسقطت قتيلاً ، أو كسرت بعض عظامها ؟ .. « وأوقع من حرجى كل لم شد لالم . وحدث ترمى سرور لارتجاج - بدى دى بدء - عندما كتب أسرع السير حوار المرتفعات (فإذا بى أرى « شارلى » أحد كلبى الصيد ، بل أشرسها ، ملقى تحت إحدى النواذ ، وقد ورم رأسه وأحد الدم ينز من أذنه . سحب يد لى وأسرعت إلى المنزل ورحت أطرق باب بقوة ولغة ، وما لى أن تخرج عن امرأة كنت أعرفها ، كانت تعيش من قبل فى جيبرتون

والتحقت بالخدمة هنا على اثر وفاة مستر إرنشسو ، بها كانت ترافى حتى صاحت :

— آه ! .. هل أتيت للبحث عن سيدك الصغيرة ؟ .. لا تخشى شيئاً .. إيه هاسبح وسلامه .. ولكنى سمعته لأنه لم يكن السيد هو الذى يطرق الباب ..

تبعته من باب الأبنس من المشى السريع و للهمة والقلق .

— إنه ليس فى المنزل إذن ؟

— كلا .. كلا .. لقد خرج هو وجوزيف ولا أحسبهما يعودان قبل ساعة أو تزيد .. ادخلى وأرتاحى قليلاً ..

مدحبت . وأداسى رى حلى الشار حلسة حوار المساء . تتأرجح فى معد مسر كل لأمه وهى صمعة .. وكذا . قعسا معنه من مسجست علم ائحدار . جنب كتب تدوم راحة والهدس كدما فى سجا . وقد راحت سرح وتحدث فى ملأه لى هـ يون - الذى أصبح الآن شسانا قرب فى الثامنة عشرة - وهى فى أحسن حالاتها النفسية .. وكان هـ يون يحسن سداره لى فى دهشسه ومسول بالمر . ولا يفته الاقل القبل من ذلك الفض المساع من الملاحظات والأسله لى كل لسانا اللق لا يك عن صمما فى أذنه ..

وأخفيت فرحتى برؤيتها سالمة وراء قناع من الغضب والاستياء ، وصحت :

— مرحى .. مرحى .. يا أنفس ..

آخر مرة درجس عـ حواسك - حتى يعود أبوك من ..

وما عدت أثق بك أو أطمئن إلى اختبارك عنه الدار أيتها الفتاة الشقية !

نهفتت في مرج وهي تثب من مجلسها وتسرع إلى جانبي :
— آه يا ايلين ! .. سوف تكون لدى قصه رائعة لأروبيها
لـ اللله ! .. ولكن أراك عثرت على ، فهل أتيت إلى هذا
المنزل في حياتك قبل الآن ؟

فتجاهلت سؤالها ، وقلت في صرامة :

— ضعي قبعتك وهيا إلى المنزل على الفور .. وإني
شديد الاستياء منك ، يا مس كاثي ، فقد أتيت خطأ جسيما
.. ولا منه من العيوس أو النكد .. فإن ذلك لن يجزى
ما سمعته لى من غلى وحزع شما كتب أدرج 'المطبخه طولاً وعرضا
في البحث صحت ! .. وكلبك شكرت كيف عهد لى مستر لينتون
بالحماطة عليك ومنعك من الخروج من المزرعة .. وإذا بك
تتسللين إلى الخارج على حد النجو ، أردت استثناء من
سلسلك .. وهذا يدل على أنك ثعلب صغير مكر ، ولن يضع
أحد ثقته بك بعد ذلك قط !

وكانت قد بدأت في النحيب ، فإذا بها تكف دفعة واحدة ،
وتقول :

.. ما الذى علمه ؟ .. ان أبى لم يأمرنى بشيء .. كما انه
ن يوبهى يا ايلين .. فإنه لم يكن قط حارما قاسيا مثلك !
سمعت أقول :

— هيا .. هيا .. سوف أربط لك شريط القبعة .. والآن

دعينا من المشاكسة .. آه ! .. يا للعار ! .. أتكونين في
الثالثة عشرة ، وتصرفين كطفلة صغيرة !

وف عبت هذه الملاحظة الأخره عندما دعمت القبعة عن
رأسى وتسرب نصف بحور المدة بعدا عن مقبول بدى ..
وتدخلت الخادمة قائلة :

— رويدك ، ولا تكونى قاسية على الصبية الطيبة يا مسز
دير .. إن بح الدس جعلها تتوقف هنا ، إذ كانت تنوق
إلى نضى في درعيا .. حشيشه أن نقتلى عليها .. وقد عرض
شعرى .. بذهب معها ، وأحسب انه كان يسعى أن
.. معها ، لأن الطريق فوق التلال شديد الوعورة ..

وكان هيرتون في أثناء هذا النقاش يقف واضعا يديه في
حسب .. فإنه .. وقد اسيد به الارتباك فلم يستطع التعلق
بشيء واحد .. وإن كان يبدو غير مرتاح إلى طفلى !
واستطردت تقول غير مكرثة بتدخل المرأة :

— كم من الوقت يجب أن انتظرها ؟ .. سوف يجئ
الظلام بعد عشر دقائق .. فإين مهسرك يا مس كاثي ؟ ..
واين « فينكس » ؟ .. سوف أتركك وأمضى لثانى ، ما لم
تسرعى .. فافعلى ما يحلو لك !

— إن المهر في الفناء .. أما فينكس لمحجوس هناك ، لأنه
مضوض ، وكذلك شارلى .. وقد كنت على وشك أن أخبرك
بكر شيء .. بعد الأهر ، ولكنك سبلة الحلق ، ولا قد تفتنى
.. فافعلى ما يحلو لك !

والتمطت التيمة من الأرض ، واقتربت منها لأضعها فوق رأسها ثانية ، ولكتها إذ رأت القساص والخادمة سحرا .
لصفها ، بدأت تقفز حول الحجرة بعيدا عنى . وثبتت في مطاردها مباديا بها بحرى هدا وهناك كالحدود فوق مطع .
وبعتها وحطب . بها حبل سمرازي ؟ حارده .
للسخريه ، فضحك هيرتون والخادمة ، وشاركتها هي في الضحك ، وامعنت في القحة حتى صحت أخيرا في انفعال شديد .

— حسنا يا مس كاثي . . لو أنك عرفت منزل من هذا
أنت يسرك أن تقادريه على الفور . .

منطرت هي إلى هيرتون قائلة :

— إنه منزل أبوك ، اليس كذلك ؟

علم بعلق إلا بكلمة « كلا » ، ومد أعصى بغيره إلى الأرض
وحمر وجهه احمررا شديدا من الحزن . . علم بكل شي
على الصمود أهم بصراتها الشبه ولو أن عسى أنها تسبب
عينيه تماما . .

معادت تسأله :

— منزل من إذن ؟ . . سيدك ؟

مازاد تورده وجهه عمقا حتى غدا أرجوانى اللون ، ولكن
عن شعور يختلف عن شعوره الأول ، وعمه بكلمة سدا .
ثم أشاح بوجهه بعيدا . .

عاستطردت الفتاة المتعبة وهي توجه إلى الخدات :

— من هو سيده ؟ . . لقد كان يتكلم فيقول « بيتنا » ،
و « قومنا » . . ولذلك حسبته ابن صاحب المنزل . . ثم
إنه لم يقل أبدا « يا سيدتى » وهو خاطبى ، وكان يجب
أن يقولها إذا كان خادما ، اليس كذلك ؟

بعدا وجه هيرتون رماديا دالكا كسحابة كثيفة مشحونة
بالرعد ، بينما جذبت محبتتى في صيت ، وانظمت أخيرا إلى
إلهما للرحيل . . وما لبثت أن خاطبت ابن خالها المجهول
مثل ما تخاطب واحدا من سبلس « الجرانج » قائلة :

— اذهب الآن واحضر جوادى . . ويهكك أن تأتي معى ،
فإنى أريد أن أرى أين ينهض صائد العفاريث من وسط
سديمات . . واسمع الحديث عن الحنات كما تسمين . .
ولكن أسرع ! . . ماذا دهاك ؟ . . لقد أمرتك بأن تحضر لى
الحواد . .

مرمرج الشاب قائلا : « سوف أراك هالكة في الجحيم
قبل أن أكون خادما لك ! » .

نقالت كاثرين في دهشة : سوف ترائى ماذا ؟

— هالكة في الجحيم أيتها الساحرة السليطة اللسان !

متدخلت قائلة :

— كفى . . مس كاثي . . لقد رأيت لك رحت نغسك
في ريقه غير لافه لك . . امثل هذه الأباط توجه إلى سيده
شبه . . ونكى أرجوك ألا تسمى النفس . . إلها . .
وسمى بحث من . . لبر مسمى « بلحا وتوخل من هذا . .

نهتفت تقول ، وقد شلت الدهشة البالغة حواسها :

— ولكن كيف بحرؤ على محاطتى بيده اللهبه - اليس ؟
.. اليس المعروض أن يطلع ما أمره به .. بسوء أخير
أبى بما قلته أيها المخلوق الشرير .. والآن !

فلم يبد على هيرتون ما ينبئ على أكثرائه بهذا الوعيد ، وهكذا
اندثقت الدموع من عينيها لشعورها بالمهانة ، وتحولت إلى
المرأة ، صانحة :

— اذهبى أنت ما حضرى المهر واطلقى سراح لكلى فى سب
واللحظة !

فاجابتها الخادم :

— حنالك يا آنسة ! .. إنك لن تخسرى شئ دلمرة وحسن
المعاملة .. ومع أن مستر هيرتون هذا ليس بمرحبا به ..
إلا أنه ابن خالك .. أما أنا فلم يؤجرنى أحد لخدمتك !
فصاحت كاثارين فى ضحكة مسخرة : هو ؟ .. هو من
خالى أنا ؟ ..

— نعم .. هذه هى الحقيقة ..

منظرت إلى فى قلق بالغ وتابعت الحديث :

— آواه يا إيلين ! .. لا تدعيهم يقولون مثل هذه ..
الفضيحة .. لقد ذهب أبى ليحضر ابن عمى من لندن ، وهو
ابن أحد السادة ! .. أما هذا ..

وكبت عن الكلام وامحرت باكية ، إذ قلب كسبب محسرة
التفكير فى وجود صلة من القرابة بينها وبين هذا المهرج ..

مهمست أقول لها :

— هه .. هه .. هه ! .. إن الناس يمكن أن يكون لهم أنفسهم
همومه وأساؤله عديدون ومن كل نوع ، بابس كاتى ،
ديور ، سوزيه ذلك .. وكل ما فى الأمر أنه لا يسعى لهم أن
يحسبوا بهم و يلزموا صحتهم إذا كانوا شريسي بنفساء ..
— ولكنه ليس .. إنه لا يمكن أن يكون أس حالو يا إيلين !

وكانت كلما معنت التفكير فى الأمر اردادت حزننا وهما ،
حتى نبت بسبب من دراعى كتابا تحتى من هذه المكورة ..

— يا بعد ، سند من الصيق والكدر معها ومن الحادية معها
سبب حبسها لسادله ! .. فلم أشك لحظة أن قرب وصول
نيسور ، الذى ذكرته كاتى ، سوف يبلغ لستر هينكليف ..
وكنت موقنة أشد اليقين من أن أول ما ستفعله كاثارين عند
سورده والده هو أن تطلب منه إيصالها لما ذكرته الحادية عن
قربانها لهذا الفتى الجلف السيء الأدب !

وكان هيرتون قد أفاق من نفوره واشتمرازه من اعتباره
أحد الخدم ، وبدا عليه القاتر لحربها وأساها .. فخصى
وحسب المهر أمام باب ، ثم أراد استرصاءها فأخذ من الوحار
حرو صغيرا معوح السفمان ووضعه فى يده وهو يطلب إليها
أن يبدى من روعها لأنه لم يكن يقصد شيئا .. عتمهلت فى
الك رتبها رمقته سطرة ماحصة ملؤه الخوف والفرع ، ثم
انجرت بلكية من جديد !

ولم استطع مغالبه لانقسام لهذا النفور من العتر المسكن
الذى رأيته الآن شابا رياضيا متين ^{اللياقى} وسيم الطلحة مبتك

صح وبعديه ، إلا أنه يرتدى شاما حشمه ربه ثلاثه اعماله
اليوميه في الحل ، وجولانه الدائم في البراري سعي وراء
الارانب الجبليه وغيرها من انواع الصيد والفضى . . ومع ذلك
حيل إلى أنى استطيع أن يستشف وراء مجاهد عقلا نحوس
من الصفات والرايا ما لم يقع لأبيه قط . . ومن المحقق أن
هناك اسماء كثيره طيبه خصى وسط الأعشاب ولحدش
ويطلى عليها بكبرها لكيف لتسرع عشمى محبه بهوها الضى
الذى لا يجد العنايه انكافيه لكى يؤمى نمره . . ومع ذلك بعد
رأت الدلائل على تربيته عنه قد فعل لها وفير من محب
ظروف أكثر ملائم . . وأحسب أن مسير هيكيف لم يسي
معاملته بذنب ، والفضل في ذلك يرجع إلى صغره لغنى الذى
شعب لا يعرف الخوف ، والتي كانت بذلك لا تنج البرصه
للإعراء بمثل هذا النوع من الانضهاد . . ولم يكر على شى
من الخجل والاستكانة التى كان يمكن لهيكيف أن يحد
منها دافعا لسوء معاملته له . . وهكذا يدور ، أما كرس
حقده وصغينته ليحفل منه مبيها حاهلا مع الخلق . . مع
يلقى شيئا من مبادئ القراءة والكتابة ، ولم يجر يوما عن
خلة سيئة طالما لم تكن تسبب لسجانه ضيقا أو عصب . . ولم
تقد قدماء خطوة واحدة في طريق الفصيلة . ولا حين حلفه
بصيصه واحدة عن مياوى الرنسة . . وكان لحوريف - مع
سمعت - نصيب وفير في تماره ، إذ كان تجهيزه له - وهو
تحرر ناجم عن صيق عتله - يدمعه إلى تعلقه وتذليله بذكرى
صيا صغرا ، لأنه كان يمدد رأس العائلة العريقة القديمة . .
وسنبا كان لا يفتك بينهم كاثرين إيرنشو وهيكليف - عندهما

كانا صغرين حديثين - بإثارة السيد واستفاد صبره ، قدفعه
بذلك إلى البحث في الخمر عن السلوى والعزاء مما كرس
بسمه : « أسائليهما الشريرة » ، فإنه صار الآن يلتقى عبء
حصد ميراث ثغرا على عبق العاصف الذى سلكه . .
« مطلق » حسرى في المنصب لم يحاول تديسه ، وكذلك لم
يدير ميوته بها كال مسئلة ملث بالدوب والاحشاء . .
ويدير أن حوريف كل راض كل الرضى وهو يرده محض
إلى أسوأ مدى . . فقد سمح بدمار الصبى ، ويدرك روحه
بأنه قد حذر - لا لشيء إلا لإعماهده من هيكليف هو
يرى سوب بكر من ذلك كله . . . وكان يعتقد أن هيرتو
يحد أن يخط دماء أسرته العريقة في ذرية يصبها ، فكان
يحد في هذه المكره وراءه بمعد عزاء . . وكان حوريف لا يثا
بسمه . مسرة بعد قصده ، كبرياء الإعرار باسم عائلته
وسلاسه . . . كان مودع لو وجد الحراة على ذلك - أن ينهى
بده يحدد وأكرمه نحو مالك - مرسعات ويدرنج - الحالى
ويكن يرمه ورهيه من ذلك المالك كانا قد بلغا مرحلة
لنزع من الشياطين والأرواح الشريرة . . فكان يقتصر مشاعره
حبسه على امر والتاميح في عمعة خافته ، وعلى الوعيد
بالوير والنسور . . في سره . . . ولست أرعم أنى أعلم عن
مير محبرى الأمور في " مرتمعات ويدرنج " في تلك الأيام ،
وإنما أرى ما كنت أسمعه . لاسى لم أكن أرى هنسا إلا أقسل
القليل . . وكان القرويون يؤكدون أن مسير هيكليف وحل
شخص يوم مستأخره العذاب ونفسه عليهم . . .

أشهد ، والحق يقال ، أن المنزل من لداحس سقعد مضاره
الفدسية من اسطانه وتومر وسائل الراحة - تحت إداره المساء
اللوامى استجدهم . وأن مشاهد العريضة ولشعب التى كائب
بمثل انام هدى لم يعد لها وجود بين حدرسه الآن . . . فقد
بال لسيد من بحر والكافة بحيث عرف من محالسه الناس
وتشددان صاحبتهن ، خيارهم وأشرارهم معا . . . وما زال
كذلك حتى الآن . . .

ومهما يكن من أمر فإن ذلك لا شأن له بحرى تصبى . .
ولنعد إلى مس كائى ، فقد رفضت قبول هدية الصلح . وهى
الجرو الرضيع ، وطلبت أن يؤتى لها نكليبها " شارلى
ولفينكس " ، فجاءا بعرحال . وقد تدلى رأسهم . . . وعند
بداننا فى رحلة العودة إلى المنزل ، على أسوا ما تكون الرحلات ،
وكل واحدة بنا تحبل همة وأساها . . . ولم ألعجى أن استخلص
من سيدتى الصغيرة كيف قضت يومها . سوى ذلك الشيء الذى
حدثته ، وهو أن كعبتها كانت فى ذلك اليوم " صحو
بنستون " . . . وأنها وصلت بغير حادث حتى باب المرتفعات
ويدرنج) ، عندها تصانف اندفاع هيرتون وفى صحبته
رفقه من الكلاب لم تلك أن هاجمت قافلتهما . . . وكانت المعركة
حامية الوطيس حتى استطاع سادة المريقين الصريق بينهما
.. وكان هذا الحادث سببا للتعارف بينهما - فقد أهدمت
كاثرين هيرتون على شخصيتها ، وأحسرت ما اعترفته من
الذهاب إلى التلال ، ثم سألتها أن يرشدتها إلى الطريق ، وأخير
استدرجته إلى مصاحبته . . . وقد كشف لها عن أسرار " كيف

الجنيات » وعشرات غيره من الأماكن العجيبة . . ولكنها ، وقد
كانت عاضه بنى ، لم ير أن من على بوصف ما شاهده من
الاشياء المسلية الغريبة . . ومع ذلك استطعت أن أثبت أن
رفيقها ودليلها كان موضع رصاها حتى أدت شعوره بمخاطبته
كأحد الخدم . وحتى أدت حادمة هيكليف شعورها بها رعبه
من أنه من حالها . . . ثم جاءت تلك الألفاظ الثنيعة التى
وحبها بليبا ملأت قلبا حقدا وألما . . . وهى التى كانت تسمع
دائم الماط " حينتى " و " عربزنى " و " ملكتى " و " ملاكى "
محاطتها بها كل إسلى فى " الحرائج " . فوجه إليها الآن السباب
الشائ من شخص غريب ! . . انها لم تكن تفهم لذلك سببا
.. وقد بذلت جهدا شاقا لآل مالها وعدا بضعاء أحزانها عن
والدها ، وشرحت لها كيف أنه لا يرباح إلى أى مخلوق من
يسكنون " المرتفعات " . وكم يكون ملع أسفه وأساها لو عرف
أنها كانت هناك . . ولكن النقطة التى ألححت فيها كثيرا ،
هى تلك الحقيقة الواقعة هى أنها لو أمشت له أهالى لأوامره ،
قرىبا بلغ به العصب إلى حد يضطربى إلى ترك المنزل . . ولم
تكن كائى لتتوى على احتمال هذه السيجه الإليه . ومن ثم
وعدتنى بكمال الأمر . إكراملى . وجامدت على هذا الوعد . .
فقد كانت . على أية حال . مناه رفيقة الشعور حلوة الشبائل .

الفصل التاسع عشر

ثم واماني خطاب مجل بالسواد ، يعلن موعد عودة سعادتي .
مقد بائت ايزابلا ، وكتب لي السيد طالب محاصر شاب الحداد
لأبيه ، وأعداد حجره خاصه ، وعبرها من وسائل الراحة ،
لأن أخيه الصغير .. وقد حثت كاثارين عرج من التفكير في
قرب استقبالها لأنيب عائدا من رحله ، واستسلمت إلى
تصورات خياله لما ترحوه من مزايا لا عدد لها لأن عيب
" الحقيقى " .. ثم جلب تلك الأمسه التي كنا نوقع وصولها
مديا .. وكنت كاثارين مد الصباح الذكر منيحه في ترنسب
اشبابها الخاصة الصغيرة .. أما الآن ، وقد ارتدت ثوبها
الأسود الحديد - وب الظلة المسكنة !! - إن موت عمها لم
يعبر بعينها بحزن و صبح المعالم - فقد اضطربى بمساقاتها
الكثرة المستهره ، إلى السر معها حتى يهاه أرضا لتكون في
استقبالها ..

ومضت نثرثر ونحس تمشى لبونى موق المرمعات
والمحفضات المكسوة بالعشب السدى تحت طلال الأشجار

- ان لينتون لا مصرعى إلا أسسه شهور .. مما أحمل أن
يكون رفيقى في اللعب !! .. وكانت عمى ايزابلا قد بعثت
إلى أمى بخصلة من شعره الجهم ، مبادا به لا يقتل عومه عن
شعرى وإن كان يوقته في خيمته وشقرنه .. وقد حثت
بى في عناية داخل صندوق صغير من الزجاج - وكثيرا ما كنت

أفكر أنه سوف يكون أمرا يهيجها لو أتج لى أن أرى صاحبها
عينانا !! .. آه !! .. اننى سعيدة حقًا !! .. فما هو أبى العزيز ،
أبى المحبوب يوشك على المجيء !! .. تعالى يا ايلن .. دعينا
نجر إلى العوابة .. تعالى تجر معا ..

واحب نعدو .. ثم يعود نائنه ثم يحرق لتعود من حديد
عدة مرات ، قيل أن تسمعنى خطواتى المفئدة الكليله بلوع
العوابة .. وهناك جلست موق العشب الأخضر على جانب
الممر .. وحاولت جعلت تتدفع بالسر في الانتظار .. ولكن ذلك
كان محالا .. فلم تستقر في جلستها دقيقة واحدة ..
وكانت لائنى تهتف بى :

- ما أشد مطبها في الحضور !! .. آه !! .. اننى أرى
سحابه من لعاب في الطريق .. طلعها قاذبان !! .. وليسكن
لا .. متى يصلان إلى هنا إذن ؟ .. الا مضى في الطريق
قليلًا يا انس ؟ .. نصف ميل مثلاً ؟ .. مجرد نصف ميل فقط ؟
.. الا قولى نعم .. دعينا نهض حتى تلك الخيملة من الشجر
عند مصطف الطريق

ولكى رمصت في إصرار .. وأخيرا انتهى انتظارها ، فقد
ظهرت عربة السر وهي تاديه نعدو في الطريق .. وصاحت
بى كثرى ومدت ذراعها إلى الأمام ، عندما رأت وجه أبيها
بطل من النامدة .. وهبطت بها من العربة وهو لا يقلع عنها
لهمه وشوقها ، ممحت مترة طويلة قيل أن بعد أحدهم ،
شيء غير شخصيها .. وأسهرت عزمه استغراقا في

العناق والقبيلات ، مضيت أختلس النظر إلى لينتون الصغير ،
وكان نائما في ركن المقعد ، متدثرًا بمعطف سميك ذي أطراف
من الفراء ، كما لو كنا في صميم الشتاء .. فوجدته غلاما
شاحب الوجه ، رقيق الجسم ، تحسبه غفلة لما يسدو في
مخبره من ضعف أنثوي .. وكان الشبه منه وبين سيدي من
الغوه يحدث تحاله أخاه الأصغر .. ولكن كان في مظهره من
الوهن والضعف والمرض ما لم يكن لانحسار لينتون قط ..
ورأني سيدي انظر إلى العلام ، فمضيت - بعد أن صامحتني -
بأن أغلق باب العربيه وأن أدعه نائما لأن الرحلة اتعبه ..
وكانت كاشي تتوق إلى أن تلقى عليه نظرة ، ولكن والدها طلب
اليب أن تراعه ، ومشيا سويا في الحديقة ، بينما أسرعت
اسبقهما لأخبر الخدم بمقدم السيد ..

ووقفا عند أسفل الدرج الأمامي ، حيث قال مستر لينتون
محاطبا ابنته :

— والآن يا عزيزتي .. أن ابن عمك ليس في مثل قوتك
أو مبركك ، ولا تنسى أنه مقد والدته منذ عهد قصير .. فلا
تستلري منه أن تشاركك اللعب والحرى من أول يوم .. كما
أرجو ألا تثقل عليه بالكلام ، وأن تدعيه هادئا هذا المساء على
الأقل ..

مأجبات كاثريين :

— سمعنا وطاعة يا أبتاه ! .. ولكني أريد أن أراه ، فإنه لم
يطل من العربيه مرة واحدة !

ووقفت العربيه أمام الدرج غاوتظ النائم وحمل إلى الارض
بشيء إلى جوار خاله ، الذي وضع يده الصغيرة في يده
بشبهه ، قائلا :

—
—
—
من الراحة وأن ترح كما تشاء ..

—
—
—
—

— دعني أذهب إلى الفراش إذن ..

فهمست قائلة له ، بينما كنت أقوده نحو باب المنزل :

—
—
—
—

إلى البكاء مثلك .. انظر كيف تبدو حزينة من أجلك !

ولست أدري على كل اكنائها بسببه أم من لحيه ، ولكن
جمع راسه إلى ذلك خيم على أساريها من الحزن
وبشبهه مثلك كان يدور في محاده .. عند ما رجعت ثامنه من
حيت والى
في قاعة سكنيه ، حيث
أربع قعدة لينتون وبعضه ، ثم أحسسه فوق أحد المقاعد
حوار المائدة .. ولكنه ما كان يخلط حتى بدأ في النصب من
حدث
—
—
—
—

— اننى لا أستطيع الجلوس على المقعد .

مقال خاله فى حلم وأناة :

— اذهب إلى الأريكة إذن ، وسوف تحمل إليك من

الشاي .

رغمعت من السيد قد لقي عناء شديدا طوال رحلته ،

... سب رغبة القيس بمشاكل ... وأنه قد سجنه فى حبس ...

... بعد ...

وراح ليقون بحر قدسيه المتألمتين حتى بلغ الأريكة .

استلقى فوقها ، بينما حملت كائى قدحها ومقعد مفتوح .

... سب مجلس محوره ... ولدت حسامه فى نادي ...

وسكن ذلك لم يحل كثيرا ، فقد استقر نرميا على من مجلس

من أين عمتها الصغير ملهة لها ، كما أرادت أن يكون سببها

إليها ... غيدات تربت على خصلات شعره ، ومقر وحده .

وتقدم له الشاي فى طبق فنجانها كأنه طفل صغير .

ذلك كثيرا ، لأنه فى الواقع لم يكن أكثر من طفل ...

يجفف عينيه من الدموع ، وقد أضاء بحياه بانفسامة حيرة .

قال لى السيد بعد أن طر مرثيات لحظه

— 'أوه' ... سوف يطيب له العيش هنا كثيرا . 'دا' ...

أن يحتضنه هنا يا ألبين ... ثمان صحة طفلة فى ...

أن تنفث فيه روحا جديدة ، وسوف تساعد رغبته فى

لاستعادة من المسحة والقود . عسى أنكتسبها ...

مقلت فى تعبى 'أهل' ... إذا استطعنا أن نحتضنه هنا '



هدأت توب على خصلات شعره ، ونزل وحده ،

وتقدم له الشاي فى طبق فنجانها كأنه طفل صغير .

.. فقد اكتنفتني موجة من الرية والتوجس الأليم ، من أنه
 لم يكن ثمة في ذلك غير أمل صئيل .. ورحلت بكر كفت بمكر
 لهذا العلام العليل البؤليل أن يعيش في برتعب وسرج ..
 وانه رغبة رب أنى ستجمع بينه وبين منة وعربون .. وانه
 دروس تلك التي سوف يلقاها عنهما ؟

ومن المؤلم أن تشكو كسا مسرمان ما يخفف .. من مسرع ..
 حيث أتوقع .. كنت قد أحضرت الصعيرين إلى طابق العلوى ..
 بعد أن انتهيا من تناول الشاي ، واضطرب بعد مسرع
 حتى استغرق في النوم .. إذ لم يشأ أن أمارقه حتى ..
 ثم يرب إلى المساق الأرمي حيث وجدت بر حو ..
 النهو أشعل شمعه بحرد يوم مسرع آخر ، بهد قسيت
 خادمه من المطبخ لنقول لى إن حوريف ، خادم مسرع هتكتف ..
 بالباب يطلب التحدث إلى السيد .. فصرخت في بدنى وعنده
 غنية ، وقلت :

— سوف أسأله أولا عما يرغبه ، فانها ماعه عدا ملائمة
 لإرعاج الناس ، وفي اللحظه التي يعودون رحلت
 طوبلة .. ولست أظن السيد على استعداد لى براه ..

وكان جوزيف قد عبر المطبخ ، بينما كنت أنطق بمد البول ..
 ودلف إلى النهو .. كان مشغولا في رداء الأعياد والأحد ..
 وقد اكتفى وجبه الهضميم من المشاكلة والتظاهر
 بالنفوى .. وكان يمسك معبته يد .. ومعاه باليد الآخر ..
 وقد راح يتلفظ حذاءه في مساحة الأرض ..

قلت له ببرود :

— طاب مساؤك يا جوريف .. أى أمر أتى بك إلى هنا
 لنسأله :

حب وهو يزيحني بيده جانبا في ازدراء :

— إنه مسفر لينتون الذى أريد أن اتحدث إليه ..

— أن مسفر لينتون على وشك الذهاب إلى الدار .. عدا
 لم يكن ما تريد قوله له شيئا هاما ، فأننى على يد من به عدا
 سمعد لسماعه الآن ..

ثم مايمت كلامى قائلة :

— وحي لك أن تجلس ، وتعود إلى برسالتك ..

فراح حين مسرعة في الابواب المعلقة لمحاورة .. ثم قل ..
 — انها حجرته ؟

.. ذكرت أنه مصر على رفض وسامتى ، وهكذا صعدت
 فى نور بالغ إلى المكتبة ، وأعلنت للسيد مقدم ذلك الزائر
 فى حضرة في وقت غير ملائم للزيارة ، ناصحة له بأن يرفض
 بسمعه
 بوقت أطم مسفر لينتون ليفوضنى فى أداء ذلك ، كان
 حوريف قد صعد فى أعقابى ، واندفع إلى داخل الحجرة
 حيث وقف عند طرف المائدة القصوى ..

موق قومه عساده ، ثم استمع بقول بصوت حور و صوته
يتوقع معارضة أو رغضا لطلبه :

— لقد أرسلني هيثكليف لأخذ غلامه ، ولن أعود بدونه

فأخذ ادحار لينتون إلى الصمت لحظة ، وقد حثمت على
استأريه سحابة من الحزن البالغ .. إنه من حنانه خلق ..
يشفق على الغلام ويرثى لحاله ، يقول أنه سكران من
بؤس يومه ، وانه يدينه المسحة وبس .. مما ياب عوده ..
وعهدت به إلى سيانته و سانه .. حاسنته به حزن مرير لحزن
التفكير في لتخلي عنه ، وراح يفت في أمه في تذكره عليه
صديفة بحيث بها لاسد .. لطلب هيثكليف ..
لقرينه لم يسعه به حيلة تسبب هذه العنة ، كتب له
لو كتب عن أنه رعمه في الإجماع بالعلم .. من ذلك سبب
يزيد أنه شسما واستهساكاته .. ولم يبق اسمه إلا بسببه
لأنه .. ولكنه ، مهما يكن من أمر ، لن يرضى سعادته من النور
في هذه الساعة ..

وعندئذ قال في هدوء :

— أخبر مستر هيثكليف أن انه سوف يأتي إلى مرتفعت
وبدونج عدا .. عنه في غرائشه الآن . وفي حاله من الإعياء
لا نسمح له بقطع هذه المسافة الطويلة .. ويمكنك أن تخبره

أيضا أن والدته لينتون كانت تود أن يبقى في رسابتي ، إذ أن
صحته الآن ضعفة وتحتاج للمزيد من العناية ..

فصاح جوزيف وهو يدي الأرض بعصاه ، ويقول بلهجه

— كلا .. إن ذلك لا يعنى شيئا بالنسبة له .. فان هيثكليف
لا يقيم وزنا للأم ، ولا لك ! .. ولكنه سوف يسترد ابنه ، ولا
يدلى من أخذه الآن !

فقال مستر لينتون في حزم وصرامة :

— لن تأخذه الليلة .. والآن ، انزل حالا ، واذهب إلى
مستعد على مسامحة ما ظنته لك .. حذره بالملى إلى
محت .. اذهب !

— امسك يدك ، لتعجز النار ودمعه إلى حرج البحرد ،
وأعلق الباب دونه .. فصاح حوريف وهو مسح في بلاء
وتنهل :

— حسنا جدا .. سوف يحضر بنفسه غدا .. وعليك أن
تضرده هو الآخر ، إذا جرؤت !

الفصل العشرون

راى مبتر ليفتون ، تجنبنا لمخطر تصدق هذا الوعد ، ان يكلفنى بأخذ الصبى إلى دار أبيه ، فى الصباح الباكر ، على مهر كائرين الصغير ، ثم أضاف قائلا :

— ما دام أمر هذا الغلام قد خرج من يدينا الآن ..

لم يستطع على مصحح ..

فانه يحب عليك ألا تذكر لاند ..

دع الله .. لا يمكن أن يتصرفنا ..

الحد .. من حاضره يودونه فى مكان غريب ..

ب نلق ، وسوق إلى رشارد " المرتعاب " رؤيته ..

لها مفعول إن أباه قد بعث فى طلبه محاذ ، ماضطر إلى مراقت ..

وندا فطير لسوى لىسمه سمعا وورا ..

فى الساعة الخامسة ، وأبدى دهشته البالغة عند ما أخبرته

بوجوب الاستعداد لرحلته حديه .. ولكن هويت عليه الأمر

بأن قلت له إنه ذاهب لقتاء بعض الوقت مع أبيه ..

هيكليف .. الذى اشتدت رغبته فى رؤيته بحيث لم يحس

تأجيل هذه السعادة حتى مرسى الغلام من رحلته لطويلة ..

فصاح الغلام فى حيرة غريبة ودهشة بالغة :

— أمى .. أمى أنا .. إن أمى لم تذكر لى قبل أن لى أنا !

.. وابن مقبى هذا الأب .. أننى أمصل اللقاء مع خالى ..

— إنه يقيم على مسسافة قريبة من « الجرانج » .. وراء هذه الملل تماما .. والمكان لا يبعد كثيرا عن هنا بحيث يمكنك أن تأتى سير على الأقدام عندما ما يستكمل صحبت وتستمد قواك .. ثم انتك يجب أن تسر للذهاب إلى دارك ورؤية أبك .. وعليك أن تحاول أن تحبه ، كما كنت تحب أمك ، وعندئذ سوف تجد منه كل حب وشغف بك ..

صالتى لمننون :

— ولكن لماذا لم أسمع عنه من قبل ؟ .. ولماذا لم تكن أبى تعيشى معه كسائر الناس ..

— كانت أمياله تستلزم بقاءه فى الشمال ، على حين كانت صحة والدتك تقتضى إقامتها فى الجنوب ..

فعاد الغلام ببال فى إلحاح :

— ولماذا لم تحدثنى أبى عنه إذن ؟ .. لقد كانت تحدثنى

خالى فتملمت أن أحبه من زمن طويل .. فكيف يمكن

.. وأنا لا أعرفه ..؟

.. ان الأطفال جميعا محبون والديهم .. ولعل

.. من ترغب فى الذهاب إلى أبك والإقامة معه

.. ولعل ..

الركوب مكررا فى مثل هذا الصمام المشقة لدم ..

..

وهل هى ذاهبة معنا ؟ .. تلك الفتاة الصغيرة التى

رأيتها أمس ..

ولعلك لا بجده ، في بادئ الأمر ، رفيقا عطوفا ، لأنه ليس من
سعه ان يكثف من عواطفه .. ولكن علسك ان تكون معه
صريحا ودودا .. ومن الطبيعي ان يزداد حبا لك وولعا بك
أكثر من أى عم أو خال ، لأنك ابنه ..

نفهم لينتون :

— أسود الشعر والعينين ؟ .. اننى لا أستطيع أن أتصوره
.. وعلى ذلك فانى لا أشبهه ، ليس كذلك ؟ ..

— لا تشبهه كثيرا ..

ولكنى قلت في نفسى وأنا أنظر إليه : « بل انك لا تشبهه
البتة » .. بينما رحت أتأمل بشرته الفاصحة الماسى وجد
البحر ، وبينه أناس عبيد مسممين ، الذين يسيرون
أمامه .. لا أعلم لا شئ مما فى سريرة قلبه ..
فيها عدا لحظات خاملة توصل فيها من أثر
ينتهي ..

وتنهدت على صوته وهو يفهم :

— اليس من العجيب انه لم يحضر قط لرؤيه أمر أو غير
.. فهل رأيته من قبل ؟ .. إن كان قد فعل ، فلا بد اننى
كنت طفلا صغيرا ، لأننى لا أذكر أقل شئ عنه !
ما حقه

— لا تنس يا سيد لينتون أن ثلاثمائة ميل مسافة عظيمة .
كما أن عظم سبواب سدى محبليه في طولها في بطر ..

كبير عما هي في نظرك أنت .. ولعل مستر هينكليف كان
يعتزم الذهاب إليك من صف آخر ، ولكنه لم يجد الفرصة
المواتية قط ، حتى غات الأوان الآن .. وأرجو ألا تعجبه
بالأسئلة في هذا الأمر ، فإن ذلك سوف يضايقه .. دون
جدوى أو فائدة ..

وسعدت جدا لما سراق في فكرة وسملته في رحله
حتى وقف بنا المهر امام بوابة الحديقة عند المنزل الريفى ..
رأيت فيه حبه لاسى في أساريره المشعر لى سديه
.. ربه .. ربه .. ربه .. ربه .. ربه .. ربه ..
.. في المنخفضة ، وخمائل غيب الديب المتناثرة ، وأشجار
الحجر المائلة على سوقها ، في اهتمام بالغ رصن ، ثم يهز
رأسه .. كتب مشاعره لحاصه تفيض ..
.. ولكنه كان من المسافة محب ..
.. مله بعد في الداخل ما سوفه عن هذا
القبح الذى أثار استهزائه ..

رأيت في
.. ..
الأسرة قد فرغت لغوها من تناول طعام الإفطار ، وأحدث
الخادم في إزالة بقايا المائدة وتنظيفها .. وكان حوريت ..
بحوار مقعد سده ويتحدث إليه عن حوار أعرج ..
.. هيرتون يستعد للذهاب إلى حفل الدريسي ..

لها وقعت أنظار مسر هينكليف : هة : هة :

— أهلا بك يا نللى ! .. لقد كنت أخشى أن تضطر للذهاب
سحبي إلى « الجراح » لأحد ما أمك . ولكنى رأيت أحد من
إلى هنا ، اليس كذلك ؟ .. دعينا نر ما يمكن أن نصنعه به !
ثم نهض من مجلسه ، ومشى إلى الباب بخطواته الواسعة .
سبعة حوريف وهيرتون وقد تملكها انفسور وحيد لا سعة
.. فحال لتتو المسكين عذبة المرعس في حومة ..
التي كانت تنطلق إليه ..

وبدا حوريف قائلاً : بعد أن نحصيه في حرمه .
يقتسا أنه بذلك أيها السيد ، وأرسل لك اب حو
أما هينكلم فقد ظل يحدح أنه بطرات مبرسة من
أبواب العلام بونه من الاضطراب ولا شك . . .
شبكة ماهرة عالية وهتف يقول :

— ما شاء الله ! .. ما أبهى هذا الجمال وما أروع ! ..
وما أحلاه من « شيء » مساهر قتان ! ..
بطعونته القواقع واللبن الرائب يا نللى ! ..
الشيطان روى ! .. ولكن ذلك أسوأ مما توقعت بكثير ..
ويعلم الشيطان أننى لم أكن مفرقا في الأمل والخيال !

فطلعت إلى الطول الحائر المرتعد أن يترحل عن مبره . وأن
يدخل البيت .. ولم يكن المتكود قد فهم تماماً ما عني حديث
أبيه ، أو هل كان هو المقصود به أم غيره .. والواقع أنه لم
يسر وانقا بعد ذلك العرب المحض سى بعد
بالسخرية اللاذعة هو أبوه .. ولكنه تعلقى وقد اردت

رعدته وارتعاشه .. فلما جلس مسر هينكليف وصاح به :
« تعال هنا » أخى وجهه في ذراعى وانخرط في البكاء ..
عند هينكليف يده وجذبه حتى أوقعه بين ركبتيه ، ثم
.. .. ورفع رأسه عاليا وهو يقول
— صه .. صه ! .. دمع من هذا الهراء ..
بأسدن .. اليس هذا اسمك ؟ .. انك ابن أمك بأكلك !
.. فأين نصيبى نيك أبها الكتكوت البكاء !

ونزع ثلثسوة الفلام ، ودفع إلى الخلف غدائره الشقراء
الكتيفة ، وراح يتحسس ذراعيه النحيلتين وأصابه الصفره
.. وكف لتتو عن البكاء أثناء هذا الفحص الدقيق ، ورفع
عينيه الواسعتين الزرقاوين بفحص بها فاحصه !

وبعد أن اقتنع هينكليف بأن أطراف الصبي كانت جميعا
سواء في الرخاوة والضعف ، سأله قائلاً :

— هل تعرفنى ؟
فأجاب لتتو وفي عيشه نظرة خوف حوفاً : كلا ..
— لعلك سمعت عنى إذن ؟ ..
مأحبه ثانية : كلا ..

— تقول كلا ؟ ..
قط مشاعر الاحتشام بصو أعف ! ..
أمنى .. وأن أمك كانت فاجرة شهيرة إذ سكتك حديلا ..
الآب الذى أتجيك ! .. والآن لا تـ ..

وجهك بجمهر هكذا .. ولو أن ذلك بعد شيئاً عظيماً أن فرى
أن الدماء التي تجري في عروقك ليست بيضاء هي الأخرى
.. وكى صبياً طيباً ، لكن لك خير الإماء ..
ثم التفت نحوى قائلاً :

— وانت يا نللى .. إذا كنت متعبه فبيتكك أن تحلمى ..
وإلا فعودى إلى بيتك ! .. وأحسبك سوف تروين كل ما تربته
بسياسة هب لصاحب " إخراج " ..
في هذا الشيء " لن مستر أو بدأ ما ذلت نحوى ..
ناحية :

— حسب .. ولكى رجو أن تكون رفيقا بالصبي يا مستر
هنتكلب .. وإلا مالك لن تستطيع إلا ..
أنه كل ما لك من قرابة في هذا العالم ، بل كل ما سوف
يكون لك ..
فقال ضاحكاً :

— لا تخفى عليه شيئاً ، فسوف أكون رفيقا به غاية الرقة
.. ولكن لا ينبغي لأحد غيرى أن يكون رفيقا .. ومشء
بأنه .. بأن عبور على حكاك سواميه مدنى ..
أبداً الرفق به من الآن ! .. أذهب ما جوزيف وأحضر طعاماً
أعطيه .. وأب ما هوون ..
إلى عملك !

فلما خرج كل منهما لثأته ، استطرد يقول :

— نعم يا نللى .. غي أنى هو المالك المرتقب لأملاككم ..
ولسب أود أن يموت قبل أن أكون واثقاً من نللى ورثته ..

وخلص من بيت غنمى ، وأريد أن يبيع طدة لمصر عنده
رى حبي حبيب لملك لوسد لميهم وأملاك .. وعنده
رى سى مستخدم أب عم يجرى أربعى دى وهم ذهب
حذاء سبوى حورهم من يده .. أن ذلك هو لاسفر الوحيد
الذى يجعلنى أطيق هذا الحرو .. إتنى أحقره لتقاهة
شخصه ، وأمته للذكريات الفيضة التي يثرها في نفسى ..
وكن عد لاسفر الذى ذكرته لك كذب كل انكبه .. وهو
معى .. وسبيل من الرعابة ما لا يمس بها نفسه بسبك
م سبى .. بعد عذب له حرة في لطافى العنوى ، وعرضتم
مئات جيل .. كما عيئت له مديراً ، سوف يخفى ثلاث
م كل ما هو .. مسعة عنه من ملاء .. لعلهم كل ما يسعى
م لعلهم .. ومد أمرب همزون م نطع أمره .. والواقع
م سبى .. محب بيل بحسب مروح السدة ولسمو
على كل من يعيش معه .. ولو أننى أشعر بالأسف العميق إذ
وجدته لا يستحق كل هذا العناء .. وإذا كنت قد سبى
شيئاً من السعادة في هذه الدنيا ، فهو أن أجد ابنى شمسياً
ذا قيمة خليقا بالإعجاب والتقدير والرهو .. وما أنذا أجد
لنفسه لمير ..
الذى لا يكف عن الأئمن والنواح !

وغيما كان يتحدث إلى ، عاد جوزيف يحمل طبقاً من
عصيدة اللبن ، وضعه أمام لينتون الذى ظل يتلهل أمام
الطعام اللطيف للمنزل ، وينظر إليه شزراً ، ثم يقول إنه
عصيدة ..

سحرته بسلام نسي نطاق واسع . ولو أنه كان مرغم على
الاحتفاظ بشعوره في عمق قلبه . لأن هيكليف كان حاد في
أرغام اتباعه على احترام الغلام واعتباره سيداً ..

بحلق جوريف في وجه لينتون . وقال وهو يحمض من
صوته خشية أن تسمعه :

— لا تستطيع أن تأكله ؟ .. ولكن اسعد شعوتك لم يكن
يأكل شيئاً سوى قط عندما كان صبي صغيراً .. وأطس أن
ما يصلح له يصلح لك تماماً مثله ..

فأجاب لينتون في لهجة أمرة قاسية :

— إنني لن أكله .. خذه من هنا ..

ماخلف جوزيف الطبق في حلق وأحضره إليفا ، حيث
دفع به تحت أنف هيكليف قائلاً :

— هل في هذا الطعام شيء يمييه ؟ ..

— ما الذي يمكن أن يمييه ؟ ..

— لا أعلم .. ولكن ذلك الصبي الرقيق . سر سو .
به لا يستطيع أن يأكله !! .. وأحسبه على حق ، فقد كانت
أمه مثله تماماً لا تستطيع طعاماً !
فأجاب السيد غاضباً :

— إياك أن تفكر أنه أباهي .. اذهب فأحضر له من الطعام
ما يوافقه ويستطيع أن يأكله ، وإلا كل شيء .. ما
طعامه المعتد ' نسي ..



عاد جوريف بحبل طينا من عصده اللين ، وضعه أمام
لينتون الذي ظل يميل أمام الطعام التقليدي للمنزل ..

ناقترحت أن يأتوا له بلبن ساحل أو قدح من الشاي ،
وسرعان ما تلقت مديرة المنزل بملابس اللامعة التي
من ذلك .. فسرت ، وقلت في نفسي أن أمسه أبيه سوف
تساهم في تهية وسائل الراحة له ، فإنه يرى تكويته ..
وحاجته إلى أن يعامل في رفق بالغ .. ولمسب سرى ..
ادجار عندما أخبره بالتحول الذي طرأ على خلق هتكيف ..
وإذ لم يعد لي عذر في النواتي والبقاء أكثر من ذلك ، فقد
تسللت خارجة ، بينما كان لينتون مشغولا ، يرد في حياة
ملاطفات أحسد الكلاب .. ولكنه كان من التيقظ والابتد
بحيث لم يمكن خداعه .. فما كنت أغلق الباب ، حتى سمعته
يصيح ويردد في فرع هذه الكلمات :

— لا تتركى ! .. لا أريد البقاء هنا ! .. لا أريد البقاء
هنا ..

ومندئذ سمعت صرير المزلاج وهو يرتفع ويهبط ليوصل
الباب ، وأدركت أنهم يحولون بينه وبين الخروج ، فأسرعت
امتطى ظهر المهر ، وأستحطه على العدو .

وعلى هذا النحو انتهت مدة حراستى لقد سره للسيد
الصفير ..

الفصل الحادى والعشرون

كانت مهمتنا مع كاشى الصغيرة شاقة مؤلمة في ذلك اليوم
.. فقد استيقظت من النوم وهى نفيس مرحسا وسرورا ،
وتلطف إلى لقاء ابن عمتها .. وما أن بلغت انباء رحيله حتى
راحت تغرق الدمع الحزير ، وتنتحب في فشيح اليهم ، بحيث
اضطر احمر عصبه إلى سديسا بالكند لب منه سوف يعود
ثانية ، وإن كل ما يصعب سرد قائدا " ن ا ، يصعب إليه
مبيلا ، ولم يكن ثمة أمل في ذلك .. وقد املح هذا
بوعلى منه ، وبعده .. وليس ارضى كى الله عيبره
وأبعد اثرا .. فعلى الرغم من انها كانت لا تفتا ، بين الحين
والحين ، ما يأتى من موعده عوده بسوس ، سديسا قبل أن
يقدر لها أن تراه مرة ثانية ، كانت بلامحه قد اختلطت في
دائريها وحللت ملاك من السلس ، بحيث لم يعرفه بعد ذلك
رائه !

وكننت كلها قائلت مديرة منزل " مرتفعات ويلدريج " عند
زبدرنى لغزبه خبيرون البصا منه ديب .. سديسا من ..
السيد الصغير ومحتة ، إذ كان يعيش في عرلة مثل كاشيرين
نفسيا ، فلا يراه أحد ولا يرى احدا .. سديسا بسديسا بها أنه
ما يزال على ضعف صحته ، وأنه رغب في كثير النكد والمشاكسة
.. وقد سكرت له به عذرى أن مديرة محبته ترد له ..
الايام كرهته وبعد .. وإن كان ديب في إحصاء ذلك .. عفا
كل شديد النفور من سماع صوته ، ولم يبق له سوى
في حجرة واحدة أكثر من يضع دقائق ..

لا يتغير ، هي أن ينمرد بتقسيمه ذلك اليوم في المكتبة ، ثم يسير عند الغسق إلى قباء كنيسة جيبرتون حيث يطيل رياره لغير روجه حتى ينصرف الليل .. وعيك .. غيب كبريس تترك لتحتفل بعيد ميلادها بمسها ، وبوسائلها الخاصة ..

وفي العشرين من مارس من ذلك العام ، كان اليوم من أيام لربيع الحبلة المشرفة .. مما ريد وانفذ المكتبة حتى برلت سيدتى الصغرة ريدنى بسبب الخروج ، ذلك لهما ستاديب لها ليقوم بحوله عند طرف اسرار .. آخرش مهي ، مدن لها مبدى لستون بذلك . بشرط .. مذهب الى مسامحة عريضة وأن يعود بعد ساعة ، وارتعبت كم صاحبة

— اسرعى إذن يا ايلين .. إثنى أعرف من أريد الذهاب .. حيث يقبل من باب من ظهور الآخر ش .. ودان ارت .. كتب قد أقامت أعشاشها بعد ..

فأجبتها :

— لا بد أن يكون ذلك على مسافة بعيدة وارتفاع عال .. بالظهور لا نعشش عند أطراف البرارى .. كلا .. ابى لست مسامحة عنده . وقد ذهبت بالقرب منها مع أبى ..

فوضعت ثلثسوتى واندفعت معها إلى الخارج ، دون أن اعير الأمر اهتماما أو أفكر فيه مرة ثانية .. وكانت تغفر أمامى فتسبقتنى ، ثم تعود إلى جانبنى ، ثم تحركت .. من من جديد كأنها كلب صيد صغير يرافق صاحبه .. دعت بملكنى

— في بادئ الأمر — نقوة من الطرب عندما سمعت أصوات القنابر وعلى صدح من قرب ومن بعد .. وسهبت ناشبه الشمس بدعه اللبدة .. وعذب رجب ارتقت طملى لذلك ويهضى لعانيه .. بعد رجا لدعته له .. حقه في لهو .. حلميا ، ووحشتها الموردين مائقتن .. كمها في نومها وصداها ونصارنهما وردتان بريال مضمض ، ونسبا اللس شمسها بها ومرد ولا يملها .. حب .. ما .. آخر .. كانت في تلك الأيام مخلوقه مسعده .. ملائكا ماهر .. وليس لها صدا .. وقتئذ ، أن تنقع بها كانت فيه !

وما لبثت أن قلت :

— حسنا .. أين طيورك البرية يا ميس كاثي ؟ .. كان سمع أن يكون عندها .. غدا عندما عن سماتين .. أحراج كثيرا ..

وكانت تجيبني باستمرار :

— آه ! .. إنها غير بعيدة من هنا .. هي على بعد قليل يا ايلين .. سلمك بك لرسمه .. وعبرى ذلك الحصر ، وما أن تصلى إلى الحاص الآخر حتى تحدى عند الطيور !

وكم من رابية تسلقتها وكم من جسر عبرته ، حتى بدأت أخيرا أحس بالنصب والإجهاد ، فقلت لها إنما يجب أن نعود ونعود أدراجا .. وكنت قد سقتى مسامحة طويلة ، فطنقت أصبح يناديه اباه ، ولكن تكرث لنداني ، إذ ظلت تغتر هنا وهناك ، حتى اختارت

إلى تعقبها .. وأحيرا اخفقت عن ناظري داخل تجويف بين التلال ، وقبل أن أراها ثانية كانت أقرب إلى « مرتفعات ويدروج » ميلين عنها إلى مرليا .. وتستلححس يسكن بها ، كان أحدهما - فيما اعتقدت - مستر هينكليف نفسه .. كانت كاثي قد ضبطت متلبسة بسرقة الطيور ، أو على الأقل بالعث في أعشاش - بين برصمات كنت من أملاك هينكليف .. وكان من حمه أن يعاقب من يسطر علي .. فلما طمعت مكسهم .. وأما آخر غدومي المكودوس .. رأيتها برجع يديها مؤكدة ما تنطق به ، وهي تقول :

— إنني لم آخذ شيئا ، ولم أجد شيئا .. ولم يكن في يدي شيء لو وجدتها .. ولكن في حرمي يوجد الكدوس منها هنا فوق التلال ، فوددت أن أرى البيض ..

مرمقني هينكليف سطرده وهو يسهم متدبه ترمدهم عن معرفته من تكون العنا ، وبالنسبة عن بوابه الحسنة نحوها ، ثم سأل عين عساه يكون « أبوها » .. فاجابته :

— إنه مستر لينتون صاحب « ثرشكروس جرانج » .. وقد أدركت أنك لم تعرفني إلا ما حطمتني به اللبحة ، فقال في سخرية :

— أتخمين إذن أن أباك على القدر رفيع المكانة موفور الاحترام ؟ ..

فراحت كاثرين تحديق فيه بانظارها في دهشة واستغراب ، ثالثة :

— ومن تكون أنت ؟ .. ثم إني رأيت هذا الرجل من قبل ، فهل هو أبوك ؟ ..

وأشارت إلى هيرتون ، الذي كان شبي لامع .. ولدى لم يكن قد كتب إلا زياده في الحجم وقوة عضلا عن عاهس من عمره ، وإن كان يبدو على ما عهفته فيه من حشونه وجلافة ..

فأسرعت اقاطعها ثالثة :

— سوف يطول غيابنا ثلاث ساعات يا مامي كاثي ، لا ساعة واحدة .. ولا بد لنا حقا من العودة إلى المنزل الآن ..

فاجابها هينكليف وهو يزيحني جانبا :

— كلا .. إن هذا الرجل ليس ابني .. ولكن لي أبسا رابته أنت من قبل أبسا .. ومع أن مربيك في عطلة ، إلا أنني أرى من أحيير لك ولب أن مربيك قتيلا .. ميل لك أن تدوري حول هذه الدغلة ، وتسيرى إلى مرليا .. إنكما إذا أرحم تليلا تستعودان إلى داركم في وقت مبكر .. فعلا لو سمعنا الآن .. ثم إنك سوف تلقين منا كل ترحاب ..

فهمست إلى كاثرين أنه لا يسعى إطلاقا أن يثني هذه الدعوة ، وأن تنق في كلامي بأن هذه الزيارة أمر لا يمكن حدوثه ، فإذا بها تسألني بصوت عال :

— لماذا ؟ .. لقد تعبت من الجري ، والعشب هنا ندي لا أستطيع الجلوس موقه ، فعدعنا بذهب يا ايلين .. ثم إنه يقول إني رأيت أنه .. ولكني أحسبه محطبا في طليسه .. وفي وسعي أن أحس أن بقيم .. في .. في .. في ..

الذي زريه مساء عودتي من « صخور بنسبون » ذلك اليوم ..
.. ألسنت تقيم هناك ؟ ..

فأجاب هيثكليف :

— بلى .. وأنت يا نللى ، أمسكى لسانك ، فإن زيارتيها
لنا سوف تكون مبعث سرور لها .. تقدم أهلكنا يا هيرتون مع
الآنسة ، أما أنت يا نللى فسوف تصيرين معي ..

فصحت ، وقد أحدث أحاول التخلص من قبضته على
ذراعي :

— كلا .. إنها لن تذهب إلي مثل هذا المكان !

ويكنها كاتب وغتند بوثك أن يصح إلى بروج الحارحي
للمرل ، بعد أن راحت مركبى بمعنى سرعيا حول أدمل
الأحراش .. ولكن لمعين لمراقبتهم لم يسلم في بيته .. بعد
أسرع بالاسعاد عند جانب الطريق واختفى عن الأنظار ..

فاستطردت قائلة :

.. إن ما فعله يا مسير هيثكليف حجب سمع .. بطور ..
فأنت تعرف أنك لا تضمر خيرا .. سوف ترى الفتاة لينتون ،
وسوف تعود لترى كل شيء لأبيها بمجرد وصولنا ، وبذلك
ينصب اللوم كله فوق رأسى ..

— إئتى أريدها على أن ترى لينتون ، فإنه يبدو أحسن
حالا هذه الأيام ، وهو قلب يكون في حالة صبح لأن براه
أحد .. وسوف نفتعيا الآن بأن تبقى أمر هذه البراءة في طي
الكتمان .. فأين الضرر في ذلك ؟ ..

— خبر في ذلك هو ن واندها سوب بحق على إذا سبن
مسي سمحت بها بدحول مبرك . كك نبي مسمعة ماما
نك رصا حيث في مشجعيا على ذلك .

— بل إن غرضي شريف على قدر المستطاع ، وسأخبرك
بكل تفاصيله في صراحة .. فأما أريد أن تتوثق الصلة بين
أبي وأمي وبسبب الحال .. من سحاب ثم يربط الروح بينها ..
ومن في ذلك مدى بدا كريمة إلى سبت بعينه .. فإن استه
'تسعد' لا أمل في ولا مستقبل في ورأيه - فإذا عمت مباد
خذ في ردم .. ردت مك .. الحق في مسارت- نسبون ميرث
خاله .

— إذا مات لينتون — وهو أمر قريب الاحتمال لأن حياته غير
مضمونة — فإن كاثارين ستكون الوارثة ..

— كلا .. إنها لن تكون الوارثة .. وليس في لوصته نص
بمن لي' دب .. وإيها سوب تنتقل أهلكه إلى .. ولكن
بمع حد سيد لحدل العقم . أقول لك إننى أريد أن يتروحا
وقد استقر عزمى على تنفيذ إرائتى ..
مقلت له حائقه :

— أما أنا فقد استقر عزمى على ألا تقرب كائى منزلك معى
مرة أخرى ..

فأمرنى بأن أزم السبت ، إذ كنا قد وصلنا إلى البوابة
حيث وقفت مس كائى في انتظارنا .. ثم سسقلنا في الممر
لبفتح لنا باب المنزل .. وكانت بسدنى الصغيرة لا فتنا
ترمته بالنظرة طو النظرة ، كأنها لا نمططيع أن تستقر على
رأى قاطع في حقيقة أمره .. وكان ..

ابنفسم في وجهها ، وكلما تحدث إليها رفق من صوته وخطابها .. وقد ملفت بي اللامعة ان تصورت ان ذكرى أميا قد تلين قلبه وتحول دون رغبته في إيذائها ..

وكان لينتون يقف بجوار المدفأة ، وقد عاد من نزوته بين الحنول ، إذ كان لا يرل مرتدا قسوته وكى بقلب إلى حوريف ان نأته بحذاء حاف .. وكان قد ارد طولاً يسديه بسنه فما رالت تنقصه بضعه أشهر ليلع السادسة عشرة .. ملاححه فقد احتضمت بحمالها ، وادارت مساء بيها .. وشبه توردا عما أذكره عنها .. ولو أنه كان نلف وسد كسبه من الهواء العليل والشمس الساطعة ..

وتحول مستر هينكليف نحو كاثي ، سانلا :

— من هذا ؟ .. هل تعرفينه ؟ ..

فراحت تنقل انظارها بين الواحد والاخر في تشكك ، قبل ان تجيب :

— اهو انك ؟ ..

— نعم .. نعم ولكن هل هذه أول مره يريه فيها ؟ .. مكرى قليلا .. أه ! .. إن ذاكرتك ضعيفة خائرة .. وأنت ، الا تذكر انة خالك التي اعتدت أن « تهوسنا » برغبتك في رؤيتها يا لينتون ؟ ..

فما ان سمعت الاسم حتى اصصرت بالمرحة الطامحه والدهشة البالغة وصاحت قائلة :

— ماذا ؟ .. لينتون ؟ .. اهذا لينتون الصغير ؟ .. ولكنه يفوقنى طولاً الآن ! .. هل انت ليسون حقاً ؟ ..

فتقدم الفتى تحوها مؤكداً أنه بعينه .. فراححت تقبله في حررة بينهما كانا يتبادلان نظرات العجب مما أحدثه الزمن من تغيير في مظهر كل منهما .. كانت كاثريس قد بلغت عاة طولها ، وسدت مفعمة العود في سم بدنه ، رجعه ان في قود بولاده ، شسه بالصننه ولحيونه لدعته .. اما لينتون فكانت نظراته وحركاته واهنة ضعيفة ، وحسبه منط النحول ، ولكن كان في مملكه ومظهره رشاقة تطف من هذه العيوب ، وتجعله يبدو مقبولا ،

وبعد ان فرغت من سائل آباب الود العديدة به اس عمت ، مضت نحو مستر هينكليف الذي كان يقف بجانب الباب ، ممسما اساعه بين داخل البيت وخارجه ، متظاهرا بالنظر إلى الحار - وهو في الحسنة يرقب من في الدحل محسب .. نهبت على اطراف اساعها لنقله وهي تهتم ، فخله .

— انك رو - منى إسن ؟ .. والله لقد احسبك ، برعم عموستك وينحسك في بادىء الأمر ! .. ولكن لماذا لا تحضر لزيارة "الجرائع" مع لينتون ؟ .. اليس من العجيب أن تكون حراً با متلاصقين كل هذه السفين ثم لا تزورما قط ؟ .. لماذا بالله فعلت ذلك ؟ ..

فاجاب :

— لقد زرت « الجرائع » مرة أو مرتين ، أكثر مما ينبغي ، قبل مولدك .. ولكن روبديك .. يا للعة ! .. إذا كان لديك الكثير من القبلات ، غوغريها وامتحيمها للينتون .. منك تصيعنيوا عننا فوق وحى !

وتركته كثيرين ، وطارت إلى لفتها حتى بفعلات أسرته
وهي تصيح :

— وأنت يا ايلين .. أيتها الخبيثة الشريرة ! .. كم جاهدت
في منى من الدخول ! .. ولكنى سوب أسير إلى هنا كل
صباح في المستقبل .. هل تسمح لى بذلك يا صاه ؟ .. وهل
أحضر أبى معى أحيانا ؟ .. هلا يسرك أن ترانا ؟ ..

فاجاب « العم » وهو لا يكاد يستطيع إخفاء القنوط
الذى علا وجهه ، والناتج من نفوره من كلا الزائرين :

— آه .. طبعاً .. طبعاً ..

وما لبث أن واجه السيدة الشابة ، مستطرداً :

— ولكن مهلاً .. لقد فكرت في الأمر ، ووجدت من الخير
أن أحسرك بالحصفة .. بين مسير لسبون معى على ..
تشاجرنا مرة في حياتنا ، في ضراوة وقسوة .. ولو ذكرت
له شيئاً عن قدومك إلى هنا مسوب بعرض مسوده على
رياراتك لسا .. ولذلك أرى أنه لا يجب أن نحارب بحرية مسوده
الريارة ، إلا إذا كنت قليلة لحرص على رؤيته من عمك في
المستقبل .. إن لك أن تحصرى كلما شئت .. ولكن لا تذكرى
له ذلك ..

فسأله في استخذاء : ولماذا تشاجرتها ؟ ..

— كان يرى أنني من الفقر بحيث لا أصلح زوجاً كنزاً
لاخته .. ثم حزن لمورى بها .. وأعسر ذلك أحبه لكرائه ..
لا يمكن أن يغفرها لى البتة ..

مقالت الفتاة :

— هذا خطأ منه ، وسوف أخبره بذلك يوماً من الأيام ..
ونكى ولنسبون لا شأن لى ولا لأحد منكم .. وكذا ..
لن أحضر إلى هنا ثانية .. معلنه من مرمى الحيرة ..
فغمغم ابن عمها :

— إن المسافة بعيدة لا يستطيع سيرها .. وسوب بقنطلى
مشى أربعة أمس حين .. كان .. معسى مع اس هـ ..
كاثرين ، بين آن وآخر .. لا كل صباح كما قلت ، بل مرة
أو اثنتين كل أسبوع !

فصوب هيفكليف نحو ابنه نظرة تفيض بالمرارة والازدراء ،
وهمس يقول لى :

— أغلب طمى ، يا املى ، أن حيودى سوب تذهب هناك ..
من .. من كثيرين .. كما يدعوه هذا العلامة القامه ، سوب
سبون .. له حصفة منه .. عطرحة وراء ظهره .. أو
تبعث به إلى الشيطان ! .. آه لو كان هيرتون معه ! ..
بعض املى كثيراً ما شسبت لو كان هيرتون املى مرغم ما هو
مبه من صعة الآن .. لقد كنت حلت من حب املى بولم
نكى املى مدلى ! .. ولكنى أحسبه بمنجاة من حبها ..
وسوب لنفع به بخاصة هذا المخلوق الحقير ، إلا إذا بعض
هذا عن نفسه حيوله .. والواقع أنه لا يسدر أنه مسوب
بعيش حتى يبلغ الثامنة عشرة .. آه .. لعنه له على هذا
المخلوق القامه السرس ! .. إنه منهمك .. مسود ..
ولا يتم له دالاً واحدهما ! .. لنسبون !

فاجاب الصبي : نعم يا ابتاه ..

.. اليس لديك ما تصحب ابيه حالك لرؤيته جرح لك ر :
.. ولو بعض الارانب او اغشاش ابن عرس ؟ ! .. حدد
يا بني إلى الحديقه ، قبل ان يسيد حداثك ، واصحب إلى
الاسطبل لتريها جوادك ..

فتبتم ليشكور مخالفا كائى في نمرت ثم عن معوره من
التحرك من مكانه :

.. الا تفضلين الجلوس هنا ؟ ..

تطلعت الفتاه نحو الباب في بطرات مشبهه . وسد
عليها الظهوب إلى الحركة والشاط . ثم احاب في السحاء :

— لست أدري حقا !

وظل قابعا في مقعده لا يمارعه ، بل لقد ارداء انكاشب
والتمساقا بالمذمة .. وعندئذ همس هتكلف ومعى الى المقعد
فاحتاره إلى المناء . وسمنهاده سدنى هرتور . وسمنه
هيتون يلبى النداء . وما لثت الإنسان ان دحلا الى "حجره" ..
وكان الشبب بمنسبل كما بدا في موعج وحسه وثسم
الندى ..

فلما راته مس كائى ذكرت ما سمعته من مدبرة المنزل ذات
يوم ، فصاحت قائلة :

— آه ! .. دعنى اوجه إليك سؤالاً يا عماء .. أهذا ابن
خالى حقا ؟ ..

— نعم .. إنه ابن خالك .. أملا بحسبه ؟ ..

فبذت الحيرة في أسارير كاثرين ، فاستطرد قائلاً :

— الا تجدينه شلبا لطيفا ؟ ..

موقعت العناية الشقية على اطراف انبعاها وهيمت في
أذن هيتكلف بكلمات اطلق على اثره بمعظها .. ماريد وجه
هيتون وماً عليه الحرج ، فدركت انه شدد الحساسيه
لكل ما سمع عن الاسمينه بمره ، وان لديه فكره مبهمه عن
ماله شبه مانفسه بهم .. ولكن سيده ، أو جاميه ، سدد
عبوسه بأن قال موضحاً :

— سوف تكون الفصل لديها سنا ما هيتون ، هيتي تقول
إتك .. ترى ماذا قالت ؟ .. حسنا .. إنه شيء شديد
الاطراء لك .. فادهب معها . وطف بها نحاء المررعه ، واسلك
سبل السيد المهذب ، فلا تنطق أمامها بكلمات غير لائقة ،
ولا تخملي في وجه الآسسه عندما يكون غير متنيه إليك ،
واعصم من بصرك عندما تنظر إليك .. وإذا تحدث
إليها فانطق بكلماتك في مطء ووضوح . ولا تضع يدك في
حبوك .. هيا .. اذهب معها الآن . وكن معها مصيفاً رقيقاً
على قدر ما تستطيع من لطف ورقة !

ثم أخذ برقعها وجها بمران امه الفافده ، فاذا هيتون
ابرسو قد أنشاح موجهه لها عن رقيقته . وقد بدا كأنسب
بدرس المناظر الممتدة أمامه . وأمالوغة بديه ، في اهمه
شخص غريب يراها للمرة الأولى ، أو أمسه ، ان شيب بمر
قنها ما يشوقه ..

وراحت كاترين ترققه من طرف خفى ، في نظرات تتم عن الإعجاب به إلى حد ما . ثم ما لبثت أن بصرت سبه إلى البحث عن الأشياء التي تثير فضولها وتسليتها ، وهي متوكل من مكان لآخر . وتترجم بعض الحركات - بغير قصد - من حديث بسبب صمت رفيقها ..

ومضى هيثكليف يقول لى :

— لقد ربطت لسانه ، فلا تجرونى بى بملى شدة و حدة .. هل تفكريننى يا نللى عندما كنت فى مثل سنه .. لا .. بل أصغر منه ببضع سنين ؟ .. وهل ظهر بعد يوم بعد الغباء ، أو هذا « التطلع » كما يسميه حوزيف .

— بل أسوأ منه .. لأنك كنت أكثر تجبها وعموسا !

فنازع كلامه ، كما بدأ يحدث نفسه . و بدأ يما يحس بخطر :

— إننى أجد غمه ما سررنى وشغفى عليم .. ويرضى كل ما علقته عليه من أمل .. ولو أنه ولد سنة أو موعده لم شعرت بنصف ما استمتع به فى من سرور و .. ولكنه ليس معنوها .. وى وسعى أن أرى كل ما حقه من مشاعر وأحاسيس ، لأننى أنا نفسى عديم .. لا .. وائى أعلم كل ما يكادته الآن تماما . ورك .. به دت . مجرد بداية لما سوف يكادته ويعانيه فيما بعد . ولن تكون فى قدرته قط أن ينتشل نفسه من أعماق الحبه و الحلامه التى تردى فيها .. فقد استطعت أن أظفر به بأسرع مما



وراحت كاترين ترققه من طرف خفى .
عن الإعجاب به إلى حد ما ، ثم ما لبثت أن بصرت سبه

ظفر نبي والده الوغد ، وأن أرى به إلى لحظ مما رماني ..
 مائة يتبه مجرا بحلاته وفطاسه .. وقد عليه كك سعد .
 ويذكرى كل ما ليس حيوانيا ، وأن يعده سخفا وضعفا ..
 أفلا تظن أن هندلي كان مكن أن سحر كثر أمانه . لو نسي له
 أن يراه الآن ؟ .. ألا فخر يانه مثلها آخر أبا ياني هدا ؟
 .. ولكن هناك مرقا شاسعا سبعا .. فاحدهم ذهب حائلي
 ولكنه يستخدم كعض حجره الطريق .. وأبني حسبه
 رخيص ولكنه يصقل ليحاكي آبه من العنه ! .. ن سر
 خلو من أي شيء دى قبه ، ومع ذلك نسي أسحق الس
 إذ أجعله يمشى إلى أمد ما يمكن لشيء ناهه مثله أن يلمه .
 أما أنه هو قال له ميزات وصفات من العلر الأول ، وكب
 ضائعة .. وقد تبرت وطهرت في الترت حتى عدت أسوا
 من عديها .. فانا ليس لدى ما آسف عليه .. أما هو فانه
 حليق بأن يكون أشد اسم وأسى من أي أسس برمه ..
 واحسن ما في الأمر أن هيرتون مولع بى ولعا شديدا .. وعك
 تعترفين مائنى في ذلك قد بززت هندلى وتوقعته لانه ..
 فلو أن الوغد الميت استذاع أن يقوم من قبره ونسى ليافشنى
 الحساب على ما فعلته مولده ، لالتج صدرى برمه ذلك التود
 نفسه بهاجمه حتى يرده إلى قبره ، وقد أحقه به حرؤ على
 الاعتداء على الصديق الأوحى الذي له في هذه الدنيا !

وأطلق هينكلف صيحة شيطانية إعجاب بهذه المكرة ..
 ولم أحر جوابا ، لأننى رأيت أنه لم يكن ينتظر الجواب .
 وفي الوقت نفسه كان رميقنا الصغير الذى كان يحس
 بعيدا عنا بحيث لم يسمع ما قاله أبوه — قد بدأ يتلمس في
 بقعده ويظهر علامات القلق .. ولعل ذلك كان بشما منه
 إذ حرم نفسه من متعة اصطحاب كاثرين حشبة أن ياله
 بعض التعمب .. ولاحظ أبوه نظراته القلعة الهائيه من خلال
 النافذة ، ويده المترددة وهى تمتد نحو قبعه وترتد عهسا ،
 مصاح به في حرارة مصطنعة :

— قم أبها الولد الكسول ، والحق بهما .. إنها الآن عند
 ركن المنزل ، بجوار خلايا النحل !

فاستجمع لينتون همه الخائرة ، وعاد مكانه بحوار المدمه
 .. وكان الباب مفتوحا ، وصبا كان يجتازه إلى الصراح
 سمعت صوت كاثرين تسأل رميقا المستوحش عن تلك
 الكسبة المنقوشة فوق الباب .. مراح هيرتون بخلق بأنطاره
 إلى القوش ، وهو يحك رأسه في ملاه بموق ملاه بهرجي
 الملاعب .. وما لبث أن أجاب :

— إنها كتابة لعينة ، ولا استطيع قراعتها !

مصاحت كاثرين :

— لا أستطيع أن أقرأها ؟ .. إنني أقرأها بسهولة ..
كتابة إنجليزية .. ولكنني أريد أن أعرف سبب وجودها فوق
الباب .

وعندئذ يهقه لينتون طريرا : وكان ذلك أول مظهر يديه
من مظاهر السرور والانتشراح ، ثم قال لابنة خاله :

— إنه لا يعرف الحروف الأبجدية ! .. مهل يمكنك أن
تصدقي وجود مثل هذا الجهل الناحس ؟ ..

فسألته من كائن في جد وأهتام :

— هل هو شخص طبيعي مكتمل العقل كما ينبغي أن
يكون ؟ .. أم أنه غر ساذج به سخوف ؟ .. لقد أقيت عليه
سؤالين منذ قليل فكان يبدو في كل مرة من النساء محبت
حسبته لا يفهمني .. أما أنا فأنى لا أستطيع فهمه حقا !

فانصرفت لينتون يضحك من جديد ، وهو يرمق هيرتون
بصرات الشكامة ويششى . وكان من الموجد الذي في تلك
اللحظة لم يكن يبدو محردا من ملكة الفهم ..

ومضى لينتون يقول :

— ليس به من شيء سوى البلادة والكسل . ..
يا إيرنشو ؟ .. أن ابنة الخال تحسبك ابله أو ..

نفر عواقب سخرتلك بما سميته « تعلم الكتب » .. ثم
هل لاحظت يا كثيرين طريقة نطقه المروعة ، على عرار الموم
من أهل يوركشاير ؟ ..

فرمجر هيرتون قائلا ، وهو أسرع بديهية في إجابة رقيقه
الدائم :

— وما الفائدة منها بحق الشيطان ؟ ..

وكن بهم بالماضي في زمجرته شأوا بعيدا ، لولا أن الشابين
أصابتها بومة من المرح المساحب ، فانسحرا في قهقهة
بوصلة ، وقد طربت آسسى الطائشة إذ تسببت أيها تستطيع
أن تحسن من لهجته العريسة الرفيعة موصعا للمرح والنسليه .

وقال لينتون وهو يضحك ضحكة ناعمة خبيثة :

— وما عائد « الشيطان » في هذه العبارة ؟ .. لقد أمرت
أني لا تنوه بأنه كلمات غير لائقة ، وما أنت لا تستطيع أن
تتمنع منك دون أن تلوك واحدة منها ! .. ها .. حول أن
تسلك مسلك السادة المهذبين ..

فصاح الشاب الريفي حائقا :

— لو لم تكن أقرب إلى الفتاة منك إلى المتى لقصمت عليك
في سو وللحظة ، أيها المخلوق التامه هيرين !

ثم أسرع بالابتعاد عنهما وقد اشتعل وجهه سران العصب
والهذلة معا ، فقد كان يشعر بمعق الإهانة التي أحاطته .
وبمجزء عن الأخذ بثأره . .

وكان مستر هينكل قد سمع هذا الحوار . كما سمعه .
ما يتسم مغتبطا إذ رآه يصرف عنهما . ولكنه أعقب ذلك
بنظرة غريبة تفيض بالنفور والكراهية ، حذح بها أنه ورعته
الثرثارين ، اللذين مضيا في حديثهم عند مدخل البيت .
وقد وجد الفتى ما ينعمه ويشير حيويته في الحدث . من أح
هيرتون ونفائسه ، وروايه الأفاضل عن نصرانيه . كما
استطابت الفتاة أقواله البديئة الحقود دون أن يسه إلى ما
عليه من سوء لطويه . . وعندئذ بدأت أكره لسمون . أكثر
مما كنت أرش له ، وعذرت أباه في احتفاره واستبحر
شأنه . .

ومكثنا هناك حتى العصر ، إذ لم يمكن أن نزع من
كثي قبل ذلك . . ولكن من حسن الحظ أن سدى لم يكن
قد عادر حجرته ، فظل جاهلا غيبضا الطويلة . . وكنت
أتلث على اطلاع الآنسة الشابة على حقيقة أخلاق الناس
الذين عاشرنا بتبهم ، ولكي كانت قد وصعت في رأسها أمي
بتحاملة عليهم ، فصاحت قائلة :

— آه ! .. أنك نحارب إلى جانب أبي يا ابن . . ولقد

تبعت الآن مقدار تحرك . . وإلا لما حدثنى كل هذه أسس
دركك لي أن لبيتون بقم في مكان بعيد جدا . . إني شديدة
لعصب منك حقا ، غير أن سرورى اليوم بطعى على عصي
يحول دون ابتجاره . . ولكن عليك أن تهسكي لسناك عن
روح عتي ! .. إنه عبي ! .. فادكرى ذلك جيدا وحذر أن
تفسيه ! .. أما أبى فسوف أعاقبه على شجاره معي !

واطلقت في الحديث على هذه لبعه حتى اضطرت إلى
التحى من كل محاولة لإنعائها بحلها . . ولم تذكر شسنا
من الرياره في تلك الليلة ، لا شيء إلا لانياله من مسر
سور . . ولكن في اليوم التالي سمع السركله ، لفسرط
كرى وغى !

ومع ذلك عرب صرده بامعه ! .. ثم يكن الأمر من السوء
كما تصورت . . إذ فكرت في أن مستر لسمون أقد منى على
حين مسئولية التوجيه ولحدير ، وأقوى منى نائرا عليها
. . غير أنه كان كثير التردد والتبهم في إنعائها بالأسباب
لقويه إلى سرر رعه في قطع كل صلة لها بأهل « مرتفعات
ويدرنج » ، كما كانت كثيرين لا يمتنعها سوى المرات القويه
لكل قيد يفرض على حريتها أو يجد من رغباتها المدلة !

فما كادت تحيه نحية الصباح ، في اليوم التالي ، حتى
هتمت قائلة :

— هل يومسلك ؟ يا أساء ، أن يحدث من راسك ما لمس في
خزعتي بين الإحراش ؟ .. آه .. أراك جعلت يا أمي ! .. وع
خائك الحذر الآن ، اليس كذلك ؟ .. حسنا ، لقد رأيت ..
ولكن اصع إلى وسوف تسمح مني كيف كشفت أمرك . وأمر
المس . حبيبك — التي كانت ، مع ذلك . تطاهر بالاسف
على ، عندما كنت أعزل النفس بالأمل ويستند من القوي نحو
عودة لينتون إلينا ثانية !

ثم مصت تروى القصة الأمية الكابله لرحلب وما سب
إليه .. أما السيد ، فعلى الرغم من أنه كان يرمي بصره
لثانيت أكثر من مرة ، إلا أنه لم يقل شئ حذر عرسه من
تقصه ، وعندئذ حذبه إليها وسألها أن كانت تعرف —
أخفى عنها وجود لينتون في حوارنا الغريب ؟ .. وإن كانت
مظن ذلك لمجرد أنه باقى عليها معه يريه لا بد . ولا مشر
من استبقاعها بها ؟ .. فأجابته :

— لقد كان ذلك لأئك تكره مستر هينكلب ..

— إذن ما كنت تعتقدين أننى من الأناسه بحث هنر
مباشعري أكثر من اهتمامي بمشاعرك كشي ؟ .. كلا ..
يكن ذلك لأننى أكره مستر هينكلب .. بل لأن مستر
هينكلب هو الذى يكرهنى ، ولأنه أمرت الناس إلى الأنس
والشباطين ، يجد لدته في الإساءة إلى من بغضه وتدميره

تدميرا عند أول غرصة يتحجبها له .. وكنت أعرف أنه من
سبل أمك إلى نوثيق عرى الود مع ابن عمك دون أن
تصلى به وتلفه .. وكنت أعرف كذلك أنه سوف يعصك
لأنك ابنتى .. وهكذا أتخذت وسائل الحيلة حتى لا ترى
لينتون ثانية ، لمصلحتك أنت . لا لى سب آخر .. وكان
في نيتي أن أشرح الأمر كله يوما من الأيام عندما يكرين ،
ويؤسفنى أننى توانيت في ذلك ..

فألت كاثرين ، وهى لا تبدو مقنعة تماما :

— ولكن مستر هينكلب كان ودودا في ترحيبه بى
بأنتاه ! .. ولم يد أى امراض على لما أحبت بالآخر أو
رويته له .. بل قبل أن يوسعى الحضور إلى منزله كلما
طاب لى . على ألا أحرك بذلك . لأنك كنت قد مشاحرت معه ،
ولن تغفر له رواجه من عمى أبراملا .. أما ابى فلا تسمح
لى بذلك .. فنت وحدك الملوم الآن ما أنى . إنه على الامس
راض عن توطيد صداقتنا ، أنا ولينتون .. أما أنت عتفت
في سبيلها !

وإذ رأى السيد أنها لا تريد أن تصدق ما نقصه به زوج
عمتها من خلق شرير ، راح يروى لها في إبحار مسلكه مع
أبراملا . ووسائل العذر التى سلكها " مرمعباد ، ويدرفح " .
ولم يكن يطبق المص فى هذا الحديث عموما ، دم . و مرمعباد

من قلبه ما ذكره عنه ، إلا أنه كان يحس نحو عدوه لعدوه بذلك
الروح نفسه وتلك البعساء ذاتها الذي كان يهلا في عهده
وفاة مسز لينتون . . كان لا يفتأ يردد في فكره تلك العبارة
المريية : « كان يمكن أن تظل على قيد الحياة حتى الآن »
لولا ما فعله بها « مكن حيثكف مذكور نفسه ملامسة »
. . ولكن من كائن - التي لم تعرف من أنواع الشرور سوى
اغتيابها الصمرة لثمة - من بعض و سبب في التمسك
الناحية عن طبعها الحمى . وخلفها حسمى . . على -
تقدم عليها يوم حدوثها - دعت وأرسلت بها . ثمرة
هذا « القلب الأسود » الذي يستطيع أن حمر الخبث
والصغينة ، وينطوى على سعة لاسقام كل هذه السس .
ويتابع تدبر الحصى في صبر وعزم دون أن يلح - سيج
تأنيب لصبر ! . . وبدت من الدار واليسى بعدا الطير
الجند من مظهر الطمعة البشرية . وهو شئ لم يسبق
لها أن قرأت عنه في درساتها ، أو حطر مألها حى الآن -
بحيث فضل مستر ادجار أن يكف من بسطة الكلام في هذا
الموضوع ، فاكفى بأن ينهى الحديث بقوله :

— سوف تمرقن فيما بعد ، يا عزيزتى ، لهذا أود أن
تجسنى بمنزل هذا الرجل وعائلته . . أم الآن - معودى إلى
مشاغلك وملاهيك السابقة - ولا تكرى عيه بعد ذلك قط . .

تقبلت كاثرين أباهما ، وعكفت على دروسها في هدوء زهاء
ساعتين كعادتها . ثم صحت في حوله بين الحفول . . ومضى
اليوم كله كما نمى سائر الأيام . . غير أننى عندما أوت
إلى حجرتها في المساء . ولحبت سببا لأساعدها في إيدل
ثيابها ، وحدثها راكمه بحوار القرائى وفد أحرطت في
البكاء . .

فتعجبت من ذلك ، وهتفت بها قائلة :

— وأها لك من طفلة بلهاء ! . . لو أنك أدت شيئا من
الأحرار الحقيقية ، لحطت من إراقة دمه واحده سدى
لمثل هذه المعارضه القميه لرعبائك ! . . ما حدى له .
— من كاثرين . على أن حائك حلو من أى حرن جوهرى ،
أو طلل لمثل هذا الحرن . . وفكرى لحظه لو أن السد ، وأن
قصينا تحبا ، ووجدت نفسك وحيد في هذا العالم ،
مكف يكون شعورك عندئذ ؟ . . قارى بين طروك الحباله
ومثل هذا المصا الطل . . واحدى لله على ما أولاك من
أصدقاء يحون لك الحير ومسهرون على سعدتك . بدلا من
إراقة عبراتك في اشتهاا الزيد من الأصدقاء !

فأجابت :

— إننى لا أبكى من أجل بسى ما

.. لقد كان يتوقع أن يراني ثانية هذا .. ولكنه سوف يصاب بخيبة أمل شديدة .. وسوف يطول انتظاره عبثا ..

— هراء ! .. فهل تحسبينه يفكر فيك بمثل تفكيرك فيه ؟
.. اليس لديه رفيق هو هيرتون ؟ .. أنك لا تجددين واحدا في المائة من الناس ينكي منذ قديم له .. مره أكثر من مرس في أمسيتين متباعدين ! .. وسوف يدرك لينتون حقيقة الامر ولا يشغل نفسه بالتفكير منك بعد ذلك ..

عاشتوت قائمة ، وهي تقول :

— ولكن هل لي أن أكتب إليه رغبة صغيره ابن له مينا السبب في عدم حضوري ، وأرسل له معها هذه الكتب التي وعدته بإعاريها له ! .. إن كنته لسبب في مثل طرائفه كمنى ، وكأر يظلف على الحصول عليها عندما حدثه عن حملها وما سبها من بهجة وتسلسله .. هل يمكنني أن أكتب إليه يا أبلين ؟ ..

منجبتها في حزم :

— محال أن يحدث ذلك .. ولن يحدث قط .. تكتمين إليه .. يمكنك إليك ، ثم لا يبق الامر بعد ذلك عند حد ؟ .. كلا يا مرس كاثرين .. ان هذه الصلة يجب أن تقطع نهائيا ، فوكذا يتوقع أبوك منك ، وسوف أعمل على تفهذه مشيئته ..

مبدأت تلح من جديد ، وقد اكتسبت سرورها بظلمة التوسل والرجاء :

— ولكن يمكن لرسالة صغيرة واحدة أن ..

غير أنى قاطعتها في صرامة :

— صه ! .. إننا لن نعود إلى الحديث عن رسائلك الصغيرة .. هيا إلى الفراش !

عندئذ رمقتني بظفره بظفر سما ، حتى لقد ملح من سرج في بعضي امي لم عمل في مدى الامر على جعلها كمنى من مساء .. واكتسبت باحكام لعناء موميسا .. ثم انقلب عليها لب وقد ركبتى حء عظيم .. ولكني ترددت في مسجيب الطريق ، وذهبت على مسلكي ، فعدت إليها في هدوء .. ورا للعلاء كانت الأمسه تفتل حوار بعنده وأدب فطعة من لورق الانس .. وفي مذهبا علم من الرخصس اس .. فباحصة عند سحولي .. وهي تشعر بدنيا .. وسعدت بمررب قائلة :

— أنك لن تجدى من يحمل هذه الرسالة يا كاثرين ، لو سقطت كفتتها .. ولكني الآن سوف أطمئء الشمعة وركت في الظلام ..

وعندما مددت يدي بقصة الإطفا لألمع مسوء ال ..

المعلقة ، تلقت لطفه بسديده على يدى . وسبب مرحة .
في سخط « أيتها الشريرة ! » . ولكنى لم ألق إلى الأمر
بالا . وغادرت الحجره في سكون . . وعند وصيد المرز
في منف شديد ، وقد تملكتهما نوبه من نوبات الفزع
والشاكسة المألوفة منها . .

ومع ذلك فقد أميت رسالتي وكتب إلى المرمر "سه
مع غلام لبنان كان يحضر من القرية إلى حريه . . وسكى
لم أعلم ذلك إلا بعد انقضاء بعض الوقت . . فقد مسرت
الأسابيع ، واستعادت كائى مرحها وابتها حيا . وإن كنت قد
غدت مولعه ، إلى حد عجب بالتسلل إلى الأكس : لاسر
بنفسها . . وكنت إذا اقترعت منها محاده . وهي مسرعه
في لقراءه ، أحدها نعل وتسم الكتاب إلى سريره كى
تحاول إحصاءه ، وعالما ما كنت ألح أطراف وراى منسبسه
نظل من بين صفحات الكتاب . . بل لقد اتحدت بسبب عادته
حديثه ، وهى التفكير في مفادته حزننا والبرول إلى المصح
حيث تظل تحوم حوله كأنها تتنظر وصول سى ، لا ترى كنهه .

وكان لها في إحدى خرائى امكنه درج حمر نظر بعينه
بمحتوياته ساعات طويلة وتحرص كل الحرص على أخذ
مفتاحه معها كلما انصرفت عنه . . فحدث ذات يوم ، بينه
كانت مبهكة في التتقيب في درجها ، أن حانت منى نصر .

إلى الدرج . إلذا لمع على كيب تمويه قد احتقت وحلت
محلها بضعة من الاوراق المطوية . . فثار فضولى . . بل
وشكوكى ، وعولت على أن ألقى نعره على تمويه لصفه . .
وهكذا ما كادت هى والسيد يؤوس إلى حزنهم بها من لطفه .
حتى رحت أبحت بين مفتاحى حتى وجدت منها واحدا
يفتح قفل ذلك الدرج . مفتحه وأمرس . حيوته حيوته

في مدعنى . ثم أحدها لم حزننى لأحدها
وفي منى من الحاحه . . ومع أسى كنت ارتاد . . .
إلى حد ما ، فقد كانت دهشتى سالفة إذ تدببت في تلك
لقصصات مخموشة من رسائل - لاند منها كيب يومه
نعرسا - من لستون هينكلف ، كان معطوب رنودا على رسائل
بعثت بها إليه . . وكانت الرسائل لاولى بمفصده بدو رسا
الغمر ، ولكنها ما لبثت أن تحولت بدريحا إلى - لاند رانه
مررة العاطفه ، مليئة بالسذاجة التى تبررها من كتابتها ،
وإن كن بعضها ، مع ذلك ، يحوى لمسات رنعه يقب به
استعارها من مصدر أوفر خبرة وحققا ! . . وراعى أن
ألقت بعضها حليطا بالغ لمرانه من الحرارة والصراحه ،
بعدا لاشاعر القويه وينهى بالعاطفه بشيويه ، في ذلك
النوع من الكتاب أسى قد يستحدها طالب حدث في مدحه
حببيه روحانية من حوريات السماء
كانت هذه الرسائل قد أشبع كائى وأضحت مسرعه .

ولكنها كانت في نظري من سقط المناخ ! .. وبعد أن شب
فيها حتى اكتنيت ، جمعتها في مبدل أحسنه عندي .
ثم عدت فأوصدت الدرج على خواء ..

ونزلت سيدتي الصغيرة مبكرة ، على عاداتها ، وحدث
تحوه حول لطبخ . مرحت رقبيا من طرب حتى ربي
بذهب إلى الباب . في اللحظة التي عدم فيها سلام مسع
بمعين .. وببما كانت الحادمة تمه له مدبر المس . ربي
كان في مديس بسا في حب سريره . وببما شمس أحمر
الحيب نفسه ، في حركه سريعة خفيه .. بسببت ودرت
حول المقرب إلى الحديقه ، وبمصص للرسوس . بدى ربي
يدافع في نصال المستقيم عن وديعه . حتى أمسك اللص
على الأرض أثناء صراعه معي ، ولكني أفلحت أخيرا في أسراع
الرسالة منه . وأذرتة بسوء النافعه دأ به بعد أني مرله
قد لا بلوى على شيء .. ثم أتوت بحوار الحدار ورحب
أقرا رسالة من كائى الغراميه في إمعان ، بوحديثي الأسر
بسطلة وأعظم بلاغه من رسائل أس تميب .. كانت رسالته
رائعه ، والحق يقال . على رغم الحقيقه اننى كانت تسمح به
.. مبرزت ربي وكررت مراده إلى المترأسب وحوه الرأى
في هذا الأمر ..

وكان اليوم بطيرا ، فلم تستطع كائى بقيام بمرهبها المعبده

في سستان .. وهكذا ما كادت نزع من دروس الصباح .
حتى لحت إلى الدرج المعهود بشهد منه بسبب .. وكس
أبوع حسب إلى جوار المائدة مبهمكا في القراءه ، أما ما غفر
بعبث الأسعير بريق أهدب مسامر العائده . ورحلت أربف
حركاتها بيمين لا تغفل ..

وما من طائر عاد إلى عشه ليجده خاويا وقد عاشت فيه
.. سو أتم . بعد أن كان قد بركة مليئا بأعراج صغرى تسع
منه سيحه بمرقيا الصداحه . بمسطلع من بعد أن
عبر والجن لميس . في صرحانه وخضاب حبه . ربي
به جعلت كائى بسك الشقه الواحده اننى سليف من
سرمه . وذلك لتجول المصنابى الذى اعبرى أساريره
السعيدة فبدلها تبديلا هائلا مروعا ..

نرفع مستر لينتون رأسه وهتف بها قائلا :

— ماذا حدث يا حبيبتي ؟ .. هل جرحت نفسك ؟ ..

سحقت من لهجنه وتطيره انه لم يكن مكسب دحربها .
فألت لاهته :

— كلا يا أبى .. لا شيء .. أيلين ! .. أيلين ! .. تعالى
معى إلى الطابق العلوى فإنى مريضة !

تلبت دعوتها وصحتها إلى خارج بكية . . . فأتى سمع
أبيه العلوى ونوصد لباب حليفنا حتى عوت من ركعتيه .
وهتفت قائلة :

— اواه يا ايلين ! .. انت التى اخذتني ! .. آه .. رديني
إلى ، ولن افعل ذلك مرة أخرى .. لن افعل ذلك أبداً ..
ولكن لا تخبري أبى .. أنك لم تخبري أبى يا ايلين ؟
قولى أنك لم تخبريه بالأمر ؟ .. قد كنت مبرجته في الحصة .
ولكني لن افعل ذلك بعد الآن قط !

محاطبها في رصانه وحره وحلب البان بعد من صديقه .
ثم قلت :

— إذن فقد مضيت في هذا الأمر نسو بعد من الحصة .
كما ييسدو الآن يا مس كاثرين ! .. لقد كنت لا تدري ان
تخلى منها ، ملا تطلبها ثاسة ! .. عدينا من ثمره لطمه
من التفاهات تلك التى تقصين ساعات فراغك في دراسيتها
وحفظها ! .. ولماذا ؟ .. إنها خليفة بان تطبع وشد ! ..
وماذا تحصين السيد يرى فيها عندما أنثرها تحت نظره ؟
.. إنني لم اطلع عليها بعد ، ولكن لا حالت بحسن لحنه
أننى سوف احفظ أسرارك المضحكة هذه ! .. يا للعار ! ..
لأنك أنت التى خطوت الخطوة الأولى في سبيل هذه

« السحابات » . ماى موعه من ان العنى ليس حليف ، البكير في
مبادئك بها !

عراحت تشيح بالمكاء وقد اسحق قلب . وهى تقول :

— إننى لم افعل .. لم افعل شيئاً من ذلك .. ولم أفسد
يوماً واحداً في حبه قبل ان ..

مقاطعتها صائحته بكل ما وسعى من الاستكثار والاراء .

— حبه ؟ .. ما شاء الله ! .. أقولين « حبه » ؟ .. وهل
سمع أحد شيء كهذا ؟ .. ان في وسعى ان أخبرك ما تحدث
عن حب الطحان الذى يحضر مره كل عام ليشيرى ما العلاء
.. ما أجمله من حب ، حقا ! .. أنك لم تقضى من حياتك
في المرتين اللتين رأيت ميبل لسنو أكثر من أربع ساعات
.. فكيف تتكلمين عن الحب إذن ؟ .. هذه هى بمانك
تعباسه ، وسوف أذهب بها إلى المكتبة ، وسأرى ما الذى
يقوله أبوك عن مثل هذا الحب !

موثت على مدى لتتزع مى كثرتها لئس . ولكنى رمتها
الى ما عوق رأسى . وعدت بدأت في بعض من التوسلات
سم انطلمت من عينا في حرارة ولهمه ، ربحه منى ان احرق
الرسائل أو اعمل ما أى شيء إلا ان اطلع أمها عليها . وإد
كنت في الحقيقة أمل إلى رحرف وتعبسها بمثل ملنى إلى
الضحك منها (لأننى كنت أقدر أن الأمر كله لا يعدو نطق
العذاب الصغار وغرورهم فقد تطهرت بالنفك في الأم
برعة ، ثم سألتي قائلة :

— إذا رضيت بحرقها ، فهل تعددتي ونداً حصاداً مآلاً
تبعثي إليه أو تلقى منه رسائل أو كتباً — لأننى 'رى أنك قد
أرسلت إليه بعض الكتب — أو خلاص سعر أو جو — .
لعبا ؟ ..

فصاحت كاثرين وقد طفت الكبرياء على خجلها :

— إننا لا نتبادل اللعب !

— أو أى شيء آخر يا سيدتى العزيزة إذن .. وسوء
أذهب إلى لك لأن ما لم تدلى لى هذا 'الوديع ..
نهتلت قائلة وهى تتشبث بثوبى :

— إئننى أعدك يا ايلين .. فيها ضعبها فى الفار .. هيا ..
هيا ..

ولكنى عندما شرعت فى اغساح مكان من طبع —
محراك النار ، كانت لتضحه أكثر من س 'مطبق السباحة'
الأمها ، فراححت تتوسل إلى من أبقى على واحد أو من
من الرسائل ، قائلة وقد تهرق قلبها :

— واحدة أو اثنتين فقط يا ايلين .. من حل حذر لسر ..

ولكنى مضيت فى مهنتى الألبه ، فصحت ركن المناس
وبدأت استقط الرسائل فى الفار واحدة بعد الأخرى .. وسوء
اللب تعلق فى المدفأة لقواسا ..

فصرخت كاثرين ودمعت يدها وسط لثري .. فحزحت
بعض الأوراق التى لم تجهز النار تلب واحتد .. أضرب ..
فحسب ، غير مبالية بما يصيب أصابعها من تحريق ، وهى
تصيح بى :

— سوف احتفظ بواحدة أيتها القاسية الشريرة !
ماعدت الرسائل الناقية فى يدى إلى المتدلى ، وهيمت
بأن أخطو نحو الباب قائلة :

— حسناً جداً .. ما زال لدى ما أريه لأبيك ..

عندئذ امرغت فى الموقد ما كانت تطوى سبه يدها من
أوراق مسودة الأطراف ، وراحبت تستحشى على بهاء هذه
المدحة سريعا .. طلب مرغت من هذه لمهيه جعلت أحرك
الرماد لأحر عليه .. ثم غطيته بملء محرمه من كتل الفحم ..
أما هى فقد انسحبت إلى حصرمها الحامه وقد أطعت
شعبتها دون أن تنس مكلمه واحدة .. وبدا عيب الشعور به
نالها من إهانة فادحة ..

ونزلت لأحر لئسب أن ما أصاب الأسمه من توعك مد
زال تماماً .. واننى رايت من الحير لها أن يرقد فى مرأسيها
قليلاً ..

ولم تنزل للمعداء .. ولكيه صيرت ثانية وقت بداول الشاي ،
قياداً بها شديده الامتاع وقد 'حمرت جفونهم' .. إلا أنها
كانت محتفظه ببدونها الطهرى إلى حد بشر لإعجاب ..
وفى صباح اليوم التالى بولت إجابته على الرسائل برفعه
صغيرة قلت فيها :

« الرجو من السيد هينكليف ألا يبعث بشيء من الرسائل
إلى من ليعتقون يعد الآن ، لأنها لن تتسلمها .. »
ومن ذلك الوقت أصبح صنى للناس به محبوب حاوية ..

الفصل الثاني والعشرون

مر عيد القديس ميخائيل ، وأخذ الصيف يسبح خطاه
راحلاً ، والحريف يقبل مكرًا .. ولكن بحساب كل مدح
في ذلك العام ، وبقيت قلة من حقولنا لم يتم حصادها بعد
.. وكان مستر لينتون واسعته ترحل كسر للبحول بين
الحصاد ، مكات يفتيان معهم ، في مراحل الحصاد الأخيرة .
حتى العسق .. وكان الحق في تلك الاسباب رصا شدد
البرودة ، حتى أصب سيدي سرد شدد سكن ربه وسي
الرحيل عنها . كضيف ثقل . وصصره إلى دأله الد
طيلة الشتاء لم يبرحها خلاله قط ..

أما كاثي المسكينة ، لمي تلك الروع قلبها من معمرها
الصغير ، فقد ازدادت حرب ووخوما من صصرت إلى
التخلي عن الاسمرار فيها ، عكن ابوها ملح عليها في الإقفل
من القراءة ، والإكثار من الخروج للفرحة .. وأد كاثي
حزمت رفقة ، فقد وحدها لرايا على أن عوصي عن مد
الحرمان — على قدر الإمكان — بصحتي بها .. ولكن هيب
أن أسد الفراغ الذي خلفه ، علم يكن في وعي أن أعز من
مساغلي اليوممة الكثيرة إلا ساعش أو ثلاثا أكرسيه لراعيا
.. ومع ذلك كان من الحلي أنها كانت أمل أرباها إلى رقتي
عنها إلى صحبة أبيها ..

وبعد ظهر يوم من أواخر أكتوبر أو أوائل نوفمبر — وكان
يوما مطيرا ، للعشب فيه وللممرات خفيف ووموسة ،

منعها أوراق الشجر الحدة البنية . وللسماء الزرقاء
الباردة فيه أفعه من السحب ، ككتفه كايا سمن عصبه
تشق غاب السماء مصعده من إلى عري . وبسر
من المطر الغير . رجوت سيدي صصير أن يمدل من
حولتها . لثقتي من عطل لأصير السور . ولكنها رعت
وأعنت في الرض .. فخرجت معها على مضض ، بعد أن
تسرلت مصطف كير وحثت مطلي ، وصحبها في السير
حتى نهاية لحديقة ، وهي نرعه حامه متكلعه كاثي بقوه
عادة إذا نحر مزاحب . وكث بدو كذلك كلما أشدت
العلة مستر انحر وساعت حاله من المند .. أما كان لسوح
لنا بذلك قط . وأيا هو أمر بحدسه — كاثي وأت — كلما طال
صيته ولاحت الكانة والامساس في أساربه .. ومصت
تسير في حطى حرنه مثيلة ، لا تحري ولا تقفر كعادتها ،
مرغم أن الرياح الباردة كانت حطقة من عريها بالادو والتوث
.. وكنت أرميا من طرف خم . فألاحظ من الحين والآخر
أيا ترع بدا لمتبع شيئا من وحتيا .. فخرجت أنطلع
حولى ناحته عن شي ، أرب به لسي سها وأد حيا من لحة
تفكيرها الحزب .. وكان على أحد حسي الطريق مرصع وعر
تأثرت منه بضعة من اشجار البندق والبوك الضامرة وقد
تعري شطر من جدورها ، وأحدث تترنه عه مستقرة في
مواضع .. وكانت التربة في ذلك المرتفع من أرخاوة حديث
لم تحتمل أشجار البلوط ، فانحنى معظمها ، تحت دفع
لرياح الشديدة . ومال على الأرض . وكث
من كاثرين ، في ألام الصنف ، نحد بعة في مقلو حذو

هذه الأشجار . والخلوس بس أعصاب . مارجح على ارتفاع
عشرين قدما من الأرض . . وكيف سمح كلما ريت جسمها
ورشاقتها ومرحب الضمى وليوى المسعث عن قلب خال
من الهموم ، إلا أنى . فى الوقت نفسه . كيف احد من لا وفق
أن أوجه لها اللوم كلما مسطها على هذا الارتفاع . وكيف تعمل
ذلك فى لحيته بدرك مما أنه ليس به ، بمسطرها إلى
البهول . . كنت بطل مد ساول العدة حتى ساعه الشاي
مضطجعة فى أرجوحته التى يهرها النسيم ، لا فعل شيئا
سوى البرنم بالاعلى القديمة . أعارج الخلوة لى كنت
أهدها بها . أو مرافقة الطيور فى أعشاشها ومشاهدة
الأم صاحبة العشب وهم يطعمان أترابهم ويعرسانها
على الطيران ، أو بسكنى فى السر . . مداسه الخوص .
يتداولها التفكير وإحلام السطحة . يرى سعادته بمص الكلمات
من وصفها . .

وأشرت إلى نجوة صغيرة بين جذور شجرة ملفوية ،
وصحبت قائلة :

— انظري يا آنسة ! . . إن الشتاء لم يحل هنا بعد . .
بهذه رهرة صغيرة فوق المربع هناك . هى آخر براعم رهور
البليك التى كانت تكسو لسمح كله فى شير بولسو معلالة
زرقاء رائعة الجمال . . ميل لك أن تتسلقى المسبة ،
وتقطفيها ، لتربيها لأبيك ؟

فراحت كائى تحديق النظر طويلا فى الزهرة الوحيدة التى
كانت تهتز فى مئواها الأرضى ، قبل أن تجيب أخيرا :

— كلا . . إن أمسا ؟ . . ولكنها تبدو حزينه مكتئبه . .
ألا ترينها كذلك يا إيلين ؟

— نعم . . غمى أشبه بك طهارة وتحولا . . أما ترين
وحسك الشاهقين كنبها حشش من انهما . . هبى
يدت فى سدى ودعنا نخر معا . غبك يوم من الاعداء ،
بحيث أحسبني قادرة على مجازاتك !
فلم تزد على أن قالت : كلا . .

واستغربت تمشى على ميل . وهى سلكا هب وهناك لسان
مصعة من اصحاب . أو خصلة من العشب الحف ، أو ثمره
من لطر شع لوبه البرتقالى لماتع من أكبر أوراق
الشجر الحمة الحمراء . . وكانت برمع بها . بين لحس
والآخر ، إلى وجهه . وهو تشيح به سعد عن انطاري . .
قدنوت منها ، وأحطت كنفها بساعدى ، ومالته قائلة :

كاثرين . . لماذا تبكين يا حبيبتي ؟ . . ما يبغى لك أن
تسكى لأن انت أصيب بالبرد . . واحمدى انه أنه لم يبرد
بما هو أسوأ من ذلك . .

تعدد احسب لدونيه العيس . وه تعد نعد إلى إخماس
عنى ، وقد اختفق صوتها وانفاسها بنشيج متتابع . وهى
نحسى :

— آه . . سوف يصبح مرضه أسوأ بكثير . . وماذا تريننى
عليه إذ ودعيت لم . . وصفه مالى وهدى فى

العالم ... إني لا أستطيع أن أبني بيتك ما أريد . عبيها
لا تكف عن الرنين في أذني . . فكيف تتبدل حياتي ، وكف
يصبح العالم موحشا محيما ماضي . عدم حسن حراسي .
وتدركك المنية أنت الأخرى !

فاجبتها :

— لكل أجل كتاب ! . . ومن يدري ، فقد تهرس من قبل .
.. من الخطأ أن يتعجل المرء السوء قبل وقوعه ! . . فديعنا
نرجو أن تفتقي أعوام وأعوام قبل أن يذهب أحدا . . إن
السيد ما زال شابا . . . ولم يحدو له منسية والأربعين
وما ركب قومه سلمة ، كما أن والذي عاش حتى لثمانين .
وظلت محتفلة بمرح . . . وسه طبا إلى النهاية ! . . وادأ مرصا
أن مستر لينتون عاش حتى بلغ التسعين من عمره . . فإن
الأعوام الباقية أكثر من التي نقصت من عمرك . . آسفه ،
ومن السخف أن تحزبي على مصيبي لن تحل إلا بعد عشرين
عاما أو تزيد !

متطلعت إلى في نظرات بعثي عينا لأمل على استنحاء ،
كانها تشد في كلماتي المرند من لعل فيه والعمر . . . وعجمت
تقول :

— ولكن عمتي إيزابيلا كانت أصغر من أبي . .

— إن عمك إيزابيلا لم تجسد من يعني بتبريضها ملك
ومثلي . . . ولم تلق من أسباب السعادة . . . مثلما تلقى السيد ،
كما لم يكن لديها ما يثر فيها حسب الحد والرعة في العيش

.. إن كل ما يلزمك ، يا عزيزتي ، هو أن تحسني رعاية
أبيك ، وأن تشيعي المرح والسمحة في بسبه من براك دابها
مرحه منبهة . . وأن تتجنبي إثارة الطلق في نفسه من به
ناحية . . فاذكري ذلك ياكائي ولا تفسديه ! . . ولا أخفي عنك
أنك قد تقطنه بطيشك وادمعك في عاطفه حياء حبالسه
فحو ابن شخص يسره أن يرى أباك مؤسدا في مسره . . أو إذا
أظهرت له أنك تدوين حزن وأسى سب مراي رأي من صالحك
أن يفرسه عليك . .

فاجابت قائلة :

— إني لا أحرص لشيء على وجه الأرض إلا لمرضي أبي . .
ولا أنالني بأي شيء يحاب أبي . . ولن أعمل شيئا لينة
— مطلق — لن أعمل شيئا أو أقول كلمة واحدة تصابقه ،
ما دبت محتفلة بمصعب حواسي . . إني أحبه أكثر من نفسي
ما أيلين . . وقد عرفت ذلك مما أعله كل ليلة من الصلاة
والدعاء بأن عبثي بعدد . . لاسي أوثر أن تعذب وأشفى
لفقدته . . على أن شيعي وسعديب إذا توباني انه قلبه . .
أفلا يدل ذلك على أنني أحبه أكثر من حبي لنفسي !

— ما أجل هذه الكلمات ! . . ولكن الأعمال أيضا يجب
أن تثبت شعورك هذا . . وأرجو أن تذكرني ، عندما تحسن
صحته . . تلك لقرارات على أحدثنا في ساعات الخوف
والنوحس . .

وكنا ، أثناء حديثنا ، قد اقتربنا من باب موصد يؤدى إلى الطريق خارج الحديقة .. وكانت السيدة الشابة قد استعدت مرحبا وإثر قبيل ثانية ، عسى بخدر وحسب على فيه لسور - وأخذت تمشي إلى خارج نافذة بعض النهار الباتية وسط رهور اشجار الورود لغري بمرمره . التي تطل حبيب بطريق .. كسبه لنهار نسفى تذ حبيب . اما العنقا فلم يشئ مستنيع المرب ميب .. العنور وحده ، إلا من يتخذ موضع كاني لحائي . وبسبب تذبذب لميل لجديها بحوها ستعذب معجب في العروق . فاعربب أن يهبط راحمة من قوى لسور لسمعهده . صدر لأن سب كان موصدا .. ورجوتها أن يكون حذره حتى لا نفع . وسرعان ما حست عن الانفاس في حبه وسرعه .. وبكى العودة لم تكن بمثل هذه السجوه . إذ من حذر من مصقولا ، عند الطلاء ، حلو من أى سوء ومنه . بها أن يروج شجيرات الورود الرخود ، وأساس شجيرات لثبو بشره . كانت لا تقوى على أداء أليه معونه عند سقى بخدر .. أما اما لم انتبه إلى ذلك ، لغفلتى وحقتى ، حتى سمعتهما تنضح قائلة :

— سوف تصطربين إلى إحصار معاج داسر . أو صصر إلى الاطلاق عدوا حتى كوح الحارس .. علس في استعلاسى تسلق السور من هنا ..

— انقضى حيث أنت .. أن في حبيبى ربطة ممتسح لعس فيها ما يفتح هذا الباب ، وإلا ذهبت لإحذر المباح ..

وأحنت كثيرين تتسلى بالعباء والرقص أمام ليا ربثما بحسب اجرب المفاتيح واحدا بعد الآخر ، ولكنى بلغت آخره دور أن أحد بببها ما يطابق قفل الباب .. عدت عليها رعتى من سقى مكانها . وكنت على وشك أن أهرع نحو الدار منزع ما في طائفتى عندها بلع مسابعى صوت جعلنى أحمس في مكائى ، وكان ذلك وقع حوامر حواد يقترب مسرعا .. وتوقعت كثرى عن الرقص كذلك . مسألته بصوب خمبض .

— من هذا ؟

وإذا برنفتى نهس في لهفة بالغة :

— أيلين .. ليئك تستطيعين فتح الباب سريعا !

عندئذ سمعت صوت عميق : هو صوت راكب الحواد يصبح قائلا :

— مهلا يا من ليتتون ! .. شد ما يسرنى أن الغاك .. ولكن لا تمنعلى الدحول ، فإن هناك إصاحا أود أن أسالك عنه وتجيبينى عليه ..

مأجابه قائلة :

— إني لن أحاطلك ما مستر هيثكلف . على امى بقول إلك رجل شرير تفتنه وتمقتنى معا ! .. ومع ذلك ..

فقال هينكليف (وكان هو نفسه القادم) :

— لا شأن لذلك بالفرض الذى أحدثك من أحله .. إننى لا أمقت ابنى ، على الأقل .. والأمر الذى أود أن استرعى انتباهك إليه إنها يخصه هو .. نعم .. يحق لك أن يحصر وجهك خجلا ! .. ألم تكونى ، منذ شهرين أو ثلاثة ، تكتبين إلى لينتون كل يوم ؟ .. أكنت تتخذين من الحب بلهية ومسللة إذن ؟ .. إنكما ، كلاكما ، تستحقان الجلد بالسياط جزاء وفاء ، وخصوصا أنت ، لأنك أكبر سنا ، وأبلد شعورا ، كما وضح فيها بعد ! .. ولكنى حصلت على خطايك ، وسوف أبعث بها إلى أبيك إذا لم تعيرى كلامى أدنا واعية ، أو أبيت استهانة بما أقول .. إننى أحسبك ملكت هذه اللعبة ، فانصرفت عنها .. ليس كذلك ؟ .. حسنا .. إنك عنديا طرحتها منك ، طرحت لينتون معها فى هوة من اليأس والقنوط ! .. لقد كان جادا ، لا لاهيا ولا عابثا ، فأحبك حقاً .. والحقبة الواقعة ، كوجودى على قيد الحياة أمامك .. أنه على وشك الموت من أجلك ، وقد سحق قلبه — حقاً لا مجازاً — غدرك وتقلب أهوائك .. ومع أن هيرتون ظل طوال الأسابيع الستة الأخيرة يمازحه ويلاعبه ليسرى عنه ، وعلى الرغم من أننى اتخذت نحوه تدابير أكثر صرامة ، وحاولت أن أخفيه وأروعه ليدع حمقه وغفلته ، فإنه يزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، وسوف

يتغيه الثرى قبل الصيف المقبل ، إلا إذا انتقته وأعدت إليه الحياة !

فصحت من وراء الباب قائلة :

— كيف يمكن لك أن تكذب على الطفلة المسكينة بهذه الجراة ؟ .. امضى لشأنك بالله عليك ! .. فليست أدري كيف تخلق عن عهد هذه الترهات الخسيسة : .. سوف أحطم القفل يحجر ، يا مس كائى ، فلا تصدقنى كلمة من هذا الهراء الخبيث .. وقد أدركت بنفسك أن من المستحيل أن يموت أحد غراماً بشخص غريب عنه ..

فغمغم الشقى الذى انكشف أمره ، قائلاً :

— لم أكن أعلم أن هناك جواسيس يسترقون السمع ! .. أهذه أنت يا مسز دين العظيمة ؟ .. إننى أحبك ، ولكنى لا أحب نفاقك يا ذات الوجبين !

ثم استعطرده يقول بصوت عال :

— وكيف يمكن لك « أنت » أن تكذبى على « الطفلة المسكينة » بهذه الجراة ، فتؤكدى لها أننى أبغضها ، وتخترعى لها من قصص القيلان ما يخيفها متى وينفرها من بيتى ؟ .. اسمعى يا بنيتى العزيزة ، يا كاثارين لينتون ، وهذا الاسم بالذات يبعث الدماء حارة فى عروقى ، سوف أغيب عن منزلى طوال

هذا الأسبوع .. فاذهبى لترى بنفسك اننى لم اخبرك
إلا صدقا .. اذهبى يا عزيزتى ! .. بل عليك أن تتخلى والدك
فى مكانى ، ولينتون فى مكانك ، ثم عسرى بعد ذلك كيف
تكون نظرتك إلى حبيبك الجحود ، إذا أبى أن يخطو خطوة
واحدة لواساتك ، بينما أبوك نفسه يرجوه ويستعطفه ! ..
ولا تقعى فى هذا الخطأ نفسه لا لشيء سوى الغياء والحق ..
إننى أقسم لك بخلاص روحى ، إنه يسير نحو القبر سيرا
حيثا ، وليس من يستطيع إنقاذه سواك ..

وتهاوى القفل تحت طرقاتى فاندفعت خارجة ، بينما كان
هينكليف يتابع كلامه لها ، وهو يحدجنى بنظرة صارمة ، قائلا :
— أقسم لك إن لينتون مشرف على الموت حقا ، وإن الحزن
والحسرة سوف يعجلان بنهايته المحتومة ! .. وأنت يا نللى ،
إذا كنت مصرة على منعها من الذهاب ، فامضى إلى هناك
بنفسك لقرية بعينيك .. إننى لن أرجع من رحلتى إلا فى
مثل هذا اليوم من الأسبوع المقبل ، ولا أحسب أن سيدك
نفسه يطاوعه قلبه على منعها من زيارة ابن عمها !

غفلت لكاثرين : « تعالى معى » .

وكنت قد أمسكت بذراعها وأنا لا أكاد أجراها إلى الداخل
جرا ، بعد أن رأيتها تتلصقا مترددة ، وتتطلع إلى وجه محدثها
بعينين يملؤهما القلق والانشغال ، بينما كنت أماريره

الجامدة من الصرامة بحيث تخفى خداعه ولؤمه .. وما لبث
أن دفع بجواده إلى جانبها ، وبالم فوكة نحوها ، قائلا :

— إننى أعترف لك يا مس كاثرين بأن حبرى قد نفدت من
لينتون وحالته ، كما ضاق به هيرتون وجوزيف ذرعا ،
وأعترف لك أيضا بأنه يعيش فى وسط سمته الفظاظة
والخشونة .. وأنه يذوى سريعا لحرمانه من العطف والحب
.. لذلك فإن كلمة رقيقة منك سوف تكون خير دواء له ..
فلا تلقى بالا إلى تحذيرات مسز دين القاسمية ، بل كونى
رفيقة كريمة ، واسعى إلى رؤيته .. فإنك تتراعين له فى
أحلامه بالليل والنهار ، وهو لا يتخلى عن عقيدته بأنك تكرهينه ،
بعد أن امتنعت عن زيارته والكتابة إليه ..

فاغلقت الباب ودرجت وراءه حجرا ليدعنه بعد أن تحطم
قفله ، ثم نشرت مظلتى وجذبت وديعتى تحنها ، إذ بدأ المطر
يتساقط علينا من بين فروع الأشجار الشجيرة الأنيب ، نذيرة
لنا بالا نتوانى فى الخارج حتى لا نتأجنا سيوله المنهرة ..
وكان إسراعنا وتلففنا على العودة للدار يمنعاننا من التعليق
على هذا اللقاء غير المتوقع مع هينكليف ، ولكنى تكهنت ، بإلهام
من غريزتى ، بأن قلب كاثرين كان مليدا بغيوم الظلمات
الكثيفة .. وكان الحزن والأسى يطبعان أساريرها بطابع غريب

بذلها تديلا ، حتى لقد انكرتها .. وكان من الجلي أنها صدقت كل كلمة وكل حرف مما سمعته ..

ووجدنا السيد قد أوى إلى حجرته قبل عودتنا ، فتسللت كائى إليها لتسال عن حالته ، غالفه مستغرقا في النوم ، وعندئذ عادت لتطلب منى أن اجلس معها في المكتبة .. وتناولنا الشاي معا ، فلما فرغنا منه استلقت على البساط ، وطلبت منى الا اتكلم ، زاعمة أنها متعبة مرهقة .. فأخذت كتابا وتظاهرت بالقراءة .. وما أن حسبتني مستغرقة فيها ، حتى بدأت بكاءها الصامت الذى يبدو أنه أصبح الآن مسلاتها المفضلة ! .. وتركتها تسرى عن نفسها برهة ، ثم اندفعت في نقاب طويل ، محاولة تسفيه أقوال مستر هينكليف وزاعمة عن ابنه ، والسخرية منها ، كأنها حسبت أنها ستواقنى .. ولكن والاسفاه ! .. فلم تكن لى تلك المهارة وذلاقة اللسان الخليفة بأن تزيل عن نفسها الأثر الذى أحدثته روايته .. وكان ذلك ما يرمى إليه تماما ..

وأجابتنى أخيرا :

— ربما كنت على حق يا نللى ، ولكنى لن أحس بالراحة قط حتى اعرف الحقيقة ولا يد لى من أن أخبر لينتون بأنه لم يكن لى ذنب فى امتناعى عن الكتابة إليه ، وأن أفتنعه بأثنى لن أتغير عن مهده قط ..

لما جدوى الغضب والاحتجاج إزاء سذاجتها الحمقاء ، وسلامة نيتها البلهاء ؟ ..

لقد افترقنا تلك الليلة على غير وفاق .. ولكن اليوم التالى شهدنى على الطريق إلى « مرتفعات ويدرنيج » ، مبرولة بجانب مهر سيدتى العنيدة .. فلم يكن فى وسعى أن اطيق رؤيتها حزينة ، وأن احتمل مرأى وجهها الشاحب ومينيها المقروحتين بالكاء .. ورضخت لرغبتها ، وقد تراوحتى أمل واه بأن يثبت لها ليتنون نفسه ، عند استقباله لنا ، مبلغ ما فى الرواية من كذب وبهتان ..

١٨٧١ - ١٨٧٢

الكتاب كرسية كرسية

Looloo

www.loloo.com



مطبوعات كتابي إصدار جديد

عزیزی القاری :-

من عجب أن الشقیقات الثلاث من أسرة «بروتی» تشابهن فی كل شیء تقريبا : تشابهن فی تسويعهن الأدبی ، وهزالهن البدنی ، وقصر أعمارهن . كما تشابهن فی خلودهن بعد الموت ! .. وهكذا اقتصر اسم كل منهن بروایة من روائع الأدب الإنسانی : وكان نصیب صغراهن « آن بروتی » من هذا الإنتاج رواية (أجنی جرای) ، التي تروى قصة مربية للأطفال ، وإن كان نصیب هذه الرواية أقل من نصیب (جین إير) و (مرتفعات وفرنج) . أقول إنهن تشابهن فی ضعف صحتهن ، وقصر أعمارهن ، بل وفي إصابتهن بنفس المرض الذي قضى على ثلاثتهن بالتحاقب - وهو مرض السل أو التدرن الرئوی - فماتت به « شارلوت » فی سن التاسعة والثلاثین (١٨١٦ - ١٨٥٥) ، وماتت به «إمیلی» فی سن الثلاثین (١٨١٨ - ١٨٤٨) ، ثم ماتت به «آن» فی سن التاسعة والعشرين (١٨٢١ - ١٨٤٩) ! والواقع أن فواجع أسرة «بروتی» لاتقف عند هذا الحد ، ونعل هذه الفواجع هي المسئولة عن الجور القاتم الذي تنسم به رواياتهن جميعا . فقد كانت أسرة بروتی تتألف فی الأصل من ثمانية أفراد : الأب ، وهو قسيس كنيسة بجهة (هاروث) بالجنتر ، وزوجته ، ثم أطفالهما الستة ، وكانوا خمس بنات وولد ، هم بالترتيب : «ماريا» ، و «إليزابيث» ، و «شارلوت» ، و «براثویل» (وهو الابن الذكر) ، ثم «إمیلی» ، وأخيرا «آن» ، وكانت تفصل بين كل من الأطفال الستة والذي يليه نحو سنة واحدة فقط ، فلما ماتت الأم كانت ابنتها الكبرى «ماريا» فی سن السابعة ، والصغرى «آن» فی عامها الأول ! وهكذا صارت «ماريا» وهي بعد فی سن السابعة عشيبة الأم للصغار الخمسة الآخرين ! بعد أربع سنوات أخفى الأب ابنته الكبيرتين «ماريا» و «إليزابيث» بـ مدرسة داخلية - هي المدرسة الرهبية التي وصفتها شارلوت فی رواية (جین إير) باسم «ثوود» .

حامی مراد